www.ibtesama.com

أين النجوم

تأليف : نهاد شريف

منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي

www.ibtesama.com

منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي

www.ibtesama.com

ابن النجوم

منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي

تأليف

نِهَاد شريف

www.ibtesama.com

اسم الكتاب: ابن النجوم.

المؤلف: نهاد شريف.

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.

تاريخ النشر: الطبعة الأولى - فبراير 2008م.

رقم الإيداع: 1997 /1950

الترقيم الدولي: ISBN 977-14-0554-3

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: 33466434(02)-33472864(02) فاكس: 33462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 38330287 (02) - 38330289 (02) - فاكس: 38330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة - ص. ب : 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 25909827 (02) - 25908895 (02) - فاكس: 25903395 (02)

مركز خدمة العملاء: 25909827 (02)
البريد الإلكترونى لخدمة العملاء:
customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
ت: 2221866 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أى جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابى صريح من الناشر.

www.ibtesama.com

الإهداء

منذ وعيت ما حوالىَّ من مجريات الأمور وأدركت حقائق ومعضلات ربما فاقت سنى.. منذ كنت صبيًّا يافعًا.. كثير التأمل.. كثير الصمت والحياء.. سن العاشرة أو تخطيتها بعام أو اثنين..

وأنا أعيش أيامى – حينذاك – موقنا أن عالمنا والذى يزخر بالخلق والنساء وبديع صنع العلى المقتدر.. لابد وأن له مثله من عوالم متشابهة أو مختلفة تستقر بدورها على أجرام كوكبية سيارة.. هى على البعد القريب أو السحيق إنما تمثل شعلات نور من الذات الإلهية.. فتومض بالحياة شتى صور الحياة .. بطول الكون وعرضه اللانهائى..

فلما نَمَوْتُ وازدادت معارفى وامتد بحثى ومناقشاتى بلغ يقينى مداه.. بأن هذه العوالم – ومنها عالمنا الأرضى – لابد وأن تشترك فى وحدة مرتبة منسقة من صفات ونظم ومعالم وتكوينات وروابط ونغمات، بالغة الإحكام.. دقيقة الإيقاع.. وذات أبعاد شاعرية فى نسقها الجمالى.. الإلهى..

ولقد حملت فى الأغلب أحلام سنى..

وتنسمت ذات الطموحات التى مهما اشتطت فلن تبتعد عن واقعها الأرضى..

www.ibtesama.com

إلا فى حلم واحد كبير.. خطير.. تسلل من منامى من عقر الصراع الصامت الموحش.. ليسرى فى دمى ويبقى بشراييني..

وأبدًا أبدًا لم يتركنى للآن.. ولا أظنه مغادرى يومًا..

ولم؟ وأنا أستعيذ به..

وأوقن بجدواه..

وداخل حلمى الجميل عشت «اليوم التاريخى» عشرات المرات.. بكل أبعاده.. مضيئًا.. يلف صداه كوكب الأرض آلاف المرات.. فيثير عميق الدهشة.. والذهول.. وفوران الأحاسيس بين قمة الفرح وصاعق الرعب والتوجس.

وهل عرفت مخلوقات الأرض مثيلاً للذى أرى فى حلمى؟

يحدث حقيقة لا فى الخيال.

هل عرفته فيما وعت من أحداث ناسها عبر تسجيلات نقوش.. أو تدوين مخطوطات.. أو كتابات نمطية قديمة.. أو حتى فى روايات حكى شفهية..؟ قريبة العهد أو ترجع إلى الوراء.. إلى عدة آلاف فى أعوام مضت..

هل شهد البشر فى أى وقت من الأوقات السابقة أو الحالية.. «لقاء يتم بين اثنين من مخلوقات الكون.. أحدهما .. من بشر الأرض».

بعد أن ضاقت الشقة..

www.ibtesama.com

عبر المسافات الرهيبة..

التى تفصل موطئ أو موطن كل منهما عن الآخر..

سواء ذهب أولهما إلى الثانى أو شد الثانى رحاله إلى حيث الأول.. أم التقى الاثنان فى منتصف الطريق على ثرى جرم سماوى ثالث..

أو لو تصادف.. وتم اللقاء بين الاثنين.. وكل منهما قابع متوجس بسفينته الكونية.. قاصدًا هدفه.. فإذا بالمواجهة تتم بغتة فى عرض الفضاء الفسيح على غير انتظار .. وهو احتمال يقول العلماء إنه وارد بنسبة واحد إلى مليون.

أو حتى لو تم اللقاء – وهو وارد كذلك – بلا تواجد فعلى.. وإنما عبر موجات أثير تنتقل فى دروب الكون من طرف إلى طرف فتحقق لفت الانتباه.. ومن ثم اليقين.. وإلى مد جذور التعارف.. وبعدئذ التعاون..

المهم

أن نؤمن أن ما سبق أن أحسسنا به فى لا وعينا.. بل وعشنا نعيه غامضًا مهمًّا فى أعماقنا وفى مؤشرات حولنا.. حتى عبرنا به من الهواجس إلى التراث إلى القناعة العلمية المؤكدة .. ثم اكتشفناه مذكورًا فى كتبنا السماوية – جميعها بلا استثناء – وانتهاء بقرآننا الكريم العظيم..

www.ibtesama.com

المهم

أن نعرف أن لقاءً كهذا متى تحقق تنتهى عزلة الإنسان على كوكبه.. على أرضه.. على ركن فى مجرته ومستقره الكونى.. ووسط ما يحيطه من تيه ساكن صامت أبدى.. رغم امتلائه بالحركة وبالضجيج.

فالإنسان كائن اجتماعى.. والأرض كوكب اجتماعى يحتاج إلى كواكب أخرى تؤنس وحدته.. تشاركه تعلقه خلال فضائه البارد.. المظلم.. أو فضائه الساخن.. اللظى.. تحت حرارة شمسه المستعرة.

وتبادله الحوار.. بكافة طرقه ومقوماته وأهدافه.. سواء للمنفعة.. لمزيد من قفزات التحضر.. أو لمجرد الدردشة..

فإلى أول كائنين يتمان لقاءً كهذا..

أول إنسان أرضى يلتقى بأول كائن من كوكب سماوى آخر.. فيحققان التعارف المنشود.. والتفاهم المقصود.. وينهيان العزلة الثقيلة.

إليهما أهدى روايتى..

نهـــاد

www.ibtesama.com

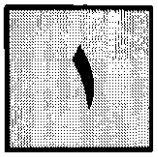

ترى ما الذى استثارنى فى كلمات الرجل العجوز فأطار صوابى وأخرجنى عن شعورى. وللدرجة التى جعلتنى أنفلت من على مقعدى وأقفز خطوتين أو ثلاثًا ثم أختطف لاقط الكلام من يد المتحدث.. وأروح أصرخ من خلاله صابًّا هستيريتى على الوجوه الواجمة بلا اتزان.

«إن كل ما ذكره المتحدثون.. وبالذات تلك الكلمات التى نطقها زميلى الأخير.. كلها بلا استثناء إنما هى محض خداع فى خداع.. وإن الحقيقة غير ذلك بالمرة.. كما أن الجهات الرسمية تخفى الكثير .. والكثير جدًّا».

ويبدو أن مندوبى الإذاعة ورجالات الصحافة ووكالات الأنباء قد وجدوا فى هجمتى الشرسة شيئًا مثيرًا يخرج عن المألوف..

فقد قرأت فى أعينهم فجأة تحفزًا ويقظة كاملين..

وأسرع أحدهم وكان قصيرًا ذا شارب كثيف وسترة بنية يكسر الإيقاع الرتيب الذى كان يسود القاعة من قبل.. ارتقى هذا المنصة.. وانحنى يحاصرنى بعينيه وحاجبيه.. ويطلق علىَّ كلماته مفوتًا أى فرصة لأتراجع.

– إذن فلتخبرنا أنت يا دكتور نجاتى بالحقيقة.. من فضلك.. هدأت قليلاً.. انتظمت أنفاسى .. تريثت إلى أن استوثقت من تعلق

www.ibtesama.com

كل الأنظار بى.. حتى أنظار زملائى العلماء وقد اتسعت حدقاتهم فزعًا وتوجسًا..

زعقت فى لاقط الكلام..

«ياسادة.. إنى أقر.. أن زملائى وإن كانوا علماء أفاضل.. إلا أنهم قد خدعوكم حين أخفوا معرفتهم بأصل النبأ الخطير الذى نشرته الجريدة.. بينما هو بمنتهى الصدق والأمانة حقيقى تمامًا .. فقد تأكدنا من وجود حضارة ذكية فى الكون غير حضارتنا الإنسانية».

تعالت همهمات محتجة «ليس بعد».. «لم نتأكد من شىء».. «هذا هراء» لكن صوتًا دوَّى فأسكت الهمهمات: أين.. أين؟

ولاحقه صوت آخر: حدد من فضلك..

قلت: إنه فى مكان ما بالطرف المقابل من مجرتنا.. سكة التبانة حاوية مائة ألف مليون نجم..

وامتدت يد بلاقط ثان للكلام تقربه من فمى..

– وأين أيضًا؟

– هى واحدة فقط التى عرفنا بوجودها..

تفجَّر فحيح من أقصى القاعة.. «وكيف وثقتم؟!!».

مددت عنقى أجاهد لأتبين مصدر الصوت..

– التقطنا رسالة موجية.. ذات مضمون واضح.. ومميز.. ووجدت لاقطى الكلام قد صاروا ثلاثة فى مواجهتى، غير الذى تقبض عليه أصابعى..

– ماذا قالت الرسالة؟

www.ibtesama.com

قلت: الكثير.. لكن أهم ما فيها. طلب التعارف بمن يتلقاها..

– من تلقاها؟

– أنا..

عندئذ تعالت هتافات ساخرة فأسرعت أوضح..

– لا لا.. حلمكم. لقد تأكد من صدقها علماء غيرى.. وهكذا.. فإن ما نشرته جريدة الجمهورية منذ أيام.. صحيح جملة وتفصيلاً..

– ما البرهان على ما تقول؟

ولوحت ذراع: كيف تصدق؟؟

قفزت إلى المنصة صحفية شابة عرفت بجرأتها وصفاقتها: لابد وأنك تحتفظ بدليل قاطع..

جاءت لحظة الفوز..

اللحظة التى سأخرس فيها غمزات تفرقع من وراء ظهرى.. وأتسيد على علماء عصرى بما حققته بدأبى وطول صبرى..

فى هدوء وبطء متعمد سرت إلى مقعدى.. تناولت الحقيبة المتروكة أسفله.. ورجعت وأنا أحتضنها وكأن بحوزتى كنزًا..

تمتمت بينما أزن كل كلمة أنطق بها عبر لاقطى الكلام..

– هنا يوجد شريط صوتى كامل.. التقطته على مدى شهور.. بنفسى.. للرسالة التى بثتها الحضارة الذكية النائية.. لمن يلتقطها..

خيم صمت مطبق..

www.ibtesama.com

وتشاغلت بضبط أرقام قفل الحقيبة على مهل.. حتى إذا ما انتهيت كشفت غطاءها فى حركة مسرحية بارعة..

وأخرجت قرص الشريط.. ثم خطوت وغيبته فى الجهاز.. وانتظرت دقائق وانتظر الكل معى.. يسودهم قلق مدمر.. إلا أننى بدلاً من الضغط على زر الجهاز حدقت فى جمهور الحاضرين ورحت أخاطبهم وأنا أستجمع شتات أفكارى المبعثرة..

– إن الذى ستستمعون إليه.. قمت بتسجيله طيلة أربعة عشر شهرًا.. فمنذ تشييد محطة الراديو تلسكوب أو آذان الاستماع العملاقة.. بمرصد القطامية.. عكفت على جمع الأصوات الكونية، والبحث فى أصول نغماتها.. ملايين النغمات والإيقاعات وشتى ضروب البث الموجى راحت تمر بسمعى لأقلب فى كل كبيرة وصغيرة عبرها.. حتى.. حتى عثرت على ما تميز بينها.. نغمات قصية.. باهتة.. لكنها انسجمت وتقطعت وانتظمت ثم تكررت وكأنها تقول شيئًا وعكفت على تنقية هذه النغمات.. وفرزها لتسجيلها وحدها.. ومن ثم رحت أحاول فهمها وحل رموزها.. حتى استطعت أن أفسر أغلبها.. وملت على الجهاز.. وشغلته.. بعد أن أفرغت ما لدى من كلام..

«فتعالى صفير حاد.. أشبه بانشراخ زجاج وتكسره.. ثم دقت طبول بعيدة وهبت ريح هفهافة أخذت تقوى وتشتد إلى أن تحولت عاصفة هوجاء.. لكنها خفتت.. تحولت أنفاسًا هادئة.. ليعود وتختلط بانشراخ الزجاج وتكسره»..

وركزت بصرى على الجالسين.. أدرت عينى بكل ما فىَّ من تحد وإصرار أتفحص الوجوه المشرئبة وجهًا وراء وجه.. غير أننى لم

www.ibtesama.com

أقرأ فيها سوى التبلد والحيرة والرفض.. فلما حاولت شرح فحوى الرسالة الموجية تعالى الصد والاعتراض من الجميع..

ثم عادت الهمهمات للتسلل من ورائى.. حيث يجلس العلماء فى ثلاثة صفوف متتالية.. «مسكين الدكتور نجاتى».. يجهد نفسه كثيرًا.. «بل يظل ملازمًا حجرة التصنت الموجى أيامًا لا يبرحها».. «طالما استمع بلا أى فائدة».. «الدليل واه ولا يحوى أى رسالة».. «كلنا لم يجد الدليل فهل وجده هو؟».. «أوهامه هى التى صورت له الرسالة»..

وازداد ضيقى بحرارة الجو المتصاعد من حولى.

فأزحت ربطة عنقى وفككت أزرار قميصى.. ورحت أجفف عنقى ووجهى ويدى.. بينما أبحث عبثًا عن أنفاسى..

«المسكين .. اسندوه».. «الحقوه .. سيسقط»..

وغامت المرئيات..

وراحت الأضواء تخفت وتتموه .. حتى اسودت..

* * *

حين احتوانى منزلى فى النهاية رفضت الانصياع لرغبة ابن شقيقتى عبد الله وزوجته بملازمتى الفراش.. كما رفضت أن يحضرا طبيبًا ليكشف علىَّ .. فالأمر فى تقديرى لم يزد عن معاناتى ارتفاعًا طفيفًا فى ضغط دمى أو تعرضى لنزلة برد.. وكل منهما أتغلب عليه دون حاجة لطبيب.. إلا أنه ساءنى من ابن الشقيقة وزوجته ومن الذين تجمعوا بحجرة الجلوس من تلاميذى وبعض جيرانى.. ممن صحبونى إلى قاعة الاجتماعات بأكاديمية العلوم الفلكية حيث عقد

www.ibtesama.com

المؤتمر الصحفى لنفى ادعاءات جريدة الجمهورية التى نشرتها قبل أيام.. ساءنى من هؤلاء نظرات الإشفاق التى أحاطونى بها.. وذلك الصمت المريب الذى حط عليهم فى حضورى .. فلما عكفت بحجرة نومى أغير ملابسى انطلقوا فى الكلام همسًا.. وخُيِّل إلى أنهم يتبادلون الرأى بشأنى..

والتقطت أذناى بالفعل جملاً حول كتابى الأخير.. وما سقته فيه من حجج وبراهين عن حتمية وجود كائنات غير البشر بأنحاء الكون.. وجملاً أخرى حول تصريحات وأحاديث سابقة لى.. وعما أثرته منذ ساعة فى المؤتمر الصحفى عن الشريط الصوتى الذى لم يحتو إلا على مزيج من نغمات الراديو العادية المشوشة..

ولكنى لم أتيقن أكانت كلماتهم فى صفى أم تفجرت ضدى.. لتجرحنى وتدينني!! فإذا كانت للإدانة فما الذى بمقدور أى منهم أو غيرهم أن يأخذوه علىَّ؟.. وجرنى السؤال وما يطوينى من حيرة إلى تقليب صفحات من حياتى..

ورجعت أعوامًا إلى الوراء..

فهل يكون جزاء عالم مثلى.. أفنى خيرة سنى عمره وتزيد عن ربع قرن حفلت بالكشوفات والإنجازات العلمية فى مضمار الفلك.. أن يلقى كلمات ومواقف إدانة كهذه تلوث سجله وتبدد تحمسه وطموحاته وتعكر استقراره.

ورحت أزن أفعالى وخطى مسيرتى.. وقد رفضت مرارًا أن أتزوج وأكون أسرة وأنجب أولادًا.. إنما كانت أسرتى هى مجالات البحث والدراسة والإنصات والمراقبة والتمعن طويلاً طويلاً فيما تقوله أو تفشى أسراره أجرام السماء.. ولولا وقوف

www.ibtesama.com

ابن شقيقتى المهندس الخبير فى الصناعات الحربية عبد الله يونس وزوجته دلال إلى جوارى فى الكثير من المحن التى تعرضت لها.. خاصة محنى الصحية.. لساءت حالتى وازداد إحساسى بوحدتى ففى صحبتهما طالما وجدت الإيناس واستنشقت بعض نسمات الحياة الأسرية..

لكن هل انضما بدورهما يرددان مع الأخرين ذات الكلمات التى تدور حولى.. وتقسو علىَّ.. وتتهمنى بتخيل أشياء لم توجد أصلاً..

تخيل أناس أكثر ذكاء ورقيًّا يوجدون فى مكان بعينه فى رحاب الكون الفسيح.. رغمًا عما أحمل من أدلة.. صحيحة تؤكد وجودهم.. فى موقعهم النائى عبر ملكوت الله.. وليس فى سرحاتى أنا كما يدعون..

آه .. لو يختبرون مدى يقظة وحرص.. بل ما يكمن من تدقيق وشك.. فى تلك الخلايا الرمادية التى تكمن بداخل رأسى..

* * *

فى آخر الليل غادرنى الكل.. حتى عبدالله قبلنى ودلال تمنت لى أحلامًا وردية قبل أن يتركانى.. وعدت إلى وحدتى وقد جدَّت عليها آلام مفصلية فى ركبتى وبطول ساقى وقدمى..

نبهتنى أوجاع الروماتيزم إلى شىء كان غائبًا عنى..

فأسرعت أختار القليل من ملابسى، أحشو بها حقيبة سفر.. ومع تباشير الضوء المبكر تسللت فى هدوء إلى أقرب محطة للحافلات السريعة المتجهة إلى صعيد مصر..

* * *

www.ibtesama.com

٢

ترك كرسيه.. وفيما يشبه السباحة اندفع إليَّ مباشرة.. وأسرع يحتضن مائدتى وينحنى ليهمس فى أذنى برقة وتودد..

– أنا من تبحث عنه..

التفت إليه : ماذا؟

– جئت خصيصًا .. لألقاك..

– أنت!؟

وصبَّ مزيدًا من كلماته العذبة غريبة الإيقاع..

– بعد انتظارك الطويل.. هأنذا.. رهن تصرفك..

– ما الذى تقصده؟

سحب كرسيًّا وجلس.. اعتدل فى جلسته.. أراح كتفيه العريضتين.. ركز عينين زرقاوين واسعتين على وجهى.. ودون أن يفتح فمه اخترقت جملته خلايا مخى..

– أنا .. ابن النجوم..

حملقت فيه متحيرًا.. ويبدو أننى لم أقو على إخفاء دهشتى التى تشوه معالم قسماتى.. عندئذ انطلق بكل طاقته يرتب الكلمات ويرصها فى لكنته الأجنبية.. تعرض حينا وتنشرخ حينًا وتثقل فيما يشبه الثأثاة أو اللهاث أحيانًا..

www.ibtesama.com

– نحن نراقبك ضمن من نراقب منذ زمن..عشرة أعوام بالضبط.. ونعرف أنك عالم فى الفلك.. لك أبحاثك الدقيقة ونظرياتك المنفردة.. وقد فحصنا مؤلفاتك التى أعلنت فيها حتمية وجود كائنات أخرى فى الكون غير أهل الأرض.. ولم يصدقها مواطنوك.. بل عارضوك بسببها.. واستهزءوا بك .. إلى أن نبذوك وأقصوك لهذه البلدة الملقاة على أطراف الصحراء..

وصمت الغريب.. أشاح بوجهه الممتلئ حيوية وحماسًا فالتوت ياقة قميصه كاشفة عن لون مخضر يكسو عنقه بجزء من قفاه وكتفه..

– كنت على حق.. بصيرتك العلمية أصابت.. وها أنا الدليل المادى على صواب فكرك.. تخلصت تدريجيًا من وطأة المفاجأة ورحت أراقبه..

لم أتيقن بعد من صدق ادعائه.. فدون ذلك اختبارات لابد منها لنفى ما ينمو من شك فى ذهن باحث مدقق مثلى.. لكن الذى ذكره عنى لم يخل من حقيقة ألبتة.. فكيف توصل إلى فحواه وأنا هنا غريب مثله فى البلدة.. قد قدمت إليها منذ أربعة أيام فحسب ولا يعلم عنى أحد شيئًا غير اسمى مجردًا.. وتنبهت إلى بادرة أخرى كانت تغيب عن بالى.. فكيف ظهر الغريب إلى جوارى فى حديقة الفندق دون أن ألحظ مقدمه وجلوسه قبيل أن يكشف عن نفسه ويلقى بمفاجأته المذهلة.. بل المريبة.. على مسامعى!!

www.ibtesama.com

وتسللت ببصرى إلى ثنايا وجهه وتفاصيل قامته وعلى صفحة قميصه ذى الألوان الهادئة والأزرار الأنيقة.. لقد بدت قامته فارعة الطول متناسقة التفاصيل فيما عدا كتفيه العريضتين وصدره البارز بثديين استغربت أن يكونا لرجل.. على أن وجهه وكفيه لفتا نظرى بشدة.. وذلك الجلد الأملس اللامع الذى يغطى ما ظهر منه وكأنما هو لمادة معدنية أو غشاء قرنى مصنع وليس لخلايا تفيض بالحياة..

أما ما أثار انقباضى وتوقفت عنده بلا فهم فهو تلك العينان الزرقاوان فى عمق البحر وصفائه.. فرغم جمالهما بدتا محيرتين.. فيهما غموض.. وقسوة.. وآلية يستحيل إخفاؤها..

– واضح أنك عرفت الكثير عنى.. لكنك أخطأت فى تخمين سبب مجيئى إلى هنا.. فما قصدت قرية «النجع» هذه هربًا من شىء.. وإنما جئتها من أجل علاج داء مفاصلى.. فالقرية تشتهر برمالها الساخنة..

تمتم دون أن يسحب ابتسامته: وظهور أجسام مجهولة الهوية فى سماء النجع.. ألم يشكل هذا دافعًا قويًّا لك؟

لم أجد ما ينتقص من مكانتى أن أعترف له صراحة بواحدة من أهدافى العلمية: لا أنفى انجذابى المستمر إلى هذا الموضوع..

– وانجذابك هذا يصل إلى درجة الرغبة فى أن تقابل وافدًا يأتى من أعلى.. من عمق السماء.. أليس كذلك؟

www.ibtesama.com

طأطأت واجمًا وأنا أقول لنفسى: يبدو أننى انجرفت كثيرًا مع أحلامى.. ثم تنهدت.. «ليتها تتحقق».

لوَّح بأصابعه فلمحتها بلا أظافر.. بينما يعتصر جبهته وكأنه يقرأ أفكارى..

– بل تحققت واحدة من أهمها..

أفقت فى الحال إلى ما يدعيه.. أردت أن أنهى المهزلة فى مهدها.. وعندئذ خرجت نبرات صوتى غريبة على..

– لا تؤاخذنى.. فما تزال تصر على أنك.. ابن نجوم؟!!

كان الرد حاضرًا على لسانه: وأنا قادم من الكوكب «آميتون» من مجموعة النجوم الحمراء الثلاثة.. بقلب مجرتنا التى هى.. مجرتكم.. أتسمونها سكة التبانة..

هتفت: بإمكانك إذن أن تثبت .. حقيقة.. أمرك؟

بدا وجهه جادًّا.. صارمًا لأول مرة.. وخُيِّل إلىَّ أنه أظلم أو كأن الأضواء خفتت من حوله.. «كل كلمة سأثبت لك صحتها»..

قفزت واقفًا : إذن هيا بنا..

وجدته واقفًا طويلاً عريضًا: إلى أين؟

ألقيت النقود إلى الجرسون وتقدمته: منزلى..

لكنه جذبنى من ذراعى برفق.. أوقفنى.. ليضع جملة فى عمق رأسى..

www.ibtesama.com

– بل إن أردت برهانًا عمليًّا فليكن.. بالتوجه إلى حيث هبطت مركبتى الكونية.. لأطلعك على ما تود معرفته.. وهو كثير..

رغم ترددى وشكى طاوعته: لا بأس..

صمت لثوان ثم قال: فالأفضل أن نرجئ الذهاب إلى الغد.. فلا تنفع الرؤية والتحرك فى ظلام أرضكم.. إن ضوء نهاركم أفضل..

ترددت: الغد! ليكن.. متى؟

أسرع يقول: ثق فى كلمتى.. سأحضر.. ولنجعل موعدنا مبكرًا.. السادسة صباحًا.. أهو مناسب؟

– مناسب.. وأين سنلتقى؟

– هنا..

– إذن هنا.. فى السادسة؟

وطوال الليل وقد قضيته مسهدًا.. رحت أتساءل فى وجل وانبهار..

«ترى هل التقيت أخيرًا بالابن الشرعى لكوكب غير الأرض؟ يبدو هذا.. بدليل صدق انفعالاته.. ولأنه لم يمس مما أتى به الجرسون من مشروبات وأطعمة خلال جلوسنا.. غير كوب للعصير؟!»..

* * *

www.ibtesama.com

٣

من الوهلة الأولى عرفت أن ضررًا ما قد لحق ذلك الجسم الانسيابى البديع.. ومن ذات النظرة قدرت أن الضرر ليس كبيرًا فى حجمه ولا بالغًا فى تأثيره.. حتى يتحول إلى كارثة..

كانت السيارة الأجرة يقودها سائقها الأصلع قد تركتنى ورفيقى عند نهاية البلدة.. حيث تستقر مدافن المسلمين على مشارف الصحراء جنوبًا.. وسرعان ما تقدمنى الرجل يخترق المنطقة سعيًا إلى التلال الجرداء الظاهرة قممها فيما وراء شواهد القبور.. حتى اجتزناها وانطلقنا نخوض تراكمات الرمال فى اتجاه جنوب غربى.. وامتد سيرنا المجهد صعودًا وهبوطًا نحو الساعة.. حين برز فجأة المشهد برمته مركزًا فى عمق ساحة منخفضة تغور وسط عدد من التبات القصيرة.. لينطق بما حدث عبر سكون الصحراء الجاثم منذ الأزل..

وقلبت بصرى أحتوى المشهد محاولاً فهمه.. لقد بدا الجسم مستطيلاً يقارب الحافلة حجمًا وله ما يشبه الزعانف الأربع على كلا جانبيه.. وأقماع النفث فى مؤخرته المعرضة.. وبدا كذلك أن الجسم سقط فى أول الساحة لكن قوة الدفع أطاحت به إلى الأمام حتى انغرست مقدمته فى منتصف تلة واطئة.. بعد أن ترك على الرمال خطًا عريضًا غائرًا يدل على زحفه عدة أمتار قبل أن يتوقف بميل نحو ثلاثين درجة على جانبه الأيمن..

www.ibtesama.com

توقفت قدماى برغمى وسألت لاهثًا: لا تقل إن الضرر كبير..؟

إلا أننى لم أنتظر رده.. خطوت غير حافل بما ألقى من عناء مضاعف وأنا أحرك قدمىَّ عاجلاً فوق الرمال الناعمة.. بينما أدور حول المركبة وقد ضوت سطوحها تحت الأشعة القوية وأتأمل كل جزء فيها عن قرب..

كان طلاؤها رماديًّا مصمتًا.. رائعًا.. أما مادتها فقد طوعت بما يشبه القذيفة الضخمة دون أية نتوءات أو وصلات أو التحامات خارجية.. حتى الزعانف برزت وكأنها امتدادات تنساب من مادة المركبة ذاتها..

وحين أكملت دورانى وعدت إلى الموقع الذى شاهدت منه المركبة أولاً لاحظت فى أعلى المقدمة المنغرسة نافذة للقيادة أو المراقبة مثل التى بكابين قيادة النفاثات.. كما لاحظت قرب المؤخرة خطوطًا تدل على باب أو كوة الخروج.. تعلوه صارية رفيعة تصدر حلقات ضوئية تتضح رغم ضوء الشمس.. وهى تتسع وتتسع.. إلى أن تتلاشى بقطر مترين أو ثلاثة..

وعاد بصرى يحط على الجزء من المركبة المنغرس فى التلة.. وكررت فى أسى وانزعاج العالم والفنان والأب معًا حين يصاب وليده بمكروه..

– لابد وأن الضرر بالغ حقًّا..

www.ibtesama.com

وكان الغريب قد توقف فى مكانه تاركًا إياى آخذًا راحتى فى تفحص المركبة وحدى.. وخُيِّل إلىَّ أنه يركز عينيه الشاردتين على أمر يشغله بداخل المركبة.. إلا أنه هز رأسه ورد علىَّ فى صوت خافت ممطوط..

– ليس.. بالقدر الذى يصعب معه.. إصلاحه..

ثم شبك أصابعه وقد ضاقت عيناه قبل أن يضيف فى تردد..

– لو مددت .. لى.. يد العون..

– أنا!!

– أجل أنت..

قالها بلهجة قاطعة ولم يعطنى فرصة للرد فقد تركنى واتجه إلى مركبته.. ليقف قبالة ما خمنت أنه المدخل إلى جوف المركبة ويخلع خاتمًا كان بإصبعه.. فيلوح به أمام المدخل.. ومن ثم تعالى أزيز انفلق على أثره جزء فى جدار المركبة.. أسرع الرجل يغيب بداخله.. ولم تمر بضع دقائق حتى لفظ الجدار الرجل ثانية بينما يحمل قناعًا فى يده..

اقترب ويده ممدودة بالقناع: لن يمكنك التنفس بالداخل ما لم ترتدى هذا..

أمسكت القناع فوجدته خفيفًا: وكيف تتنفس أنت جَوَّنَا؟

– أتناول أقراصًا معادلة..

www.ibtesama.com

لم يسمعنى وإنما أشهر خاتمه وخطا يتقدمنى عبر مدخل المركبة.. عندئذ أحكمت القناع على وجهى وتبعته.. وما إن خطوت حتى انغلق الباب وراءنا..

الداخل يختلف عن الخارج.. فرغم ضيق الممر وكثرة الأجهزة وزحمة تركيباتها، بدا المكان شديد الإضاءة زاهى الألوان.. فى حين لمعت الثنايا والبروزات ولاحت النظافة بكيفية مدهشة..

لدى باب سميك مغلق توقف.. استدار ليقول لى محذِّرًا..

– هنا يحظر الدخول إلا بالأردية الواقية.. إنه مقر توربينات البث التى تدفع المركبة فى مسارها.. وتدار بطاقة بلازما الرياح النجمية.. بكيفية خطرة ولكنها فعّالة.. وما زلتم تجهلونها على كوكبكم..

هززت رأسى موافقًا فطاقة البلازما نعرفها فقط على الورق لكننا لم نتوصل لاستخدامها..

وفى حجرة مجاورة طالعت شاشات العقول المفكرة التى تسيطر على أجهزة الحركة والملاحة والاتصال ومعرفة الأعطال.. كما تمد الملاحين بأكثر من مليار مليار معلومة فى شتى المجالات.. هكذا أخبرنى..

وفى حجرة تالية استقامت دواليب الأردية الواقية وأردية السباحة والتنقل فى الفضاء.. ودواليب معدات الصيانة وأردية الطوارئ وثلاجات الأدوية والمؤن..

www.ibtesama.com

فلما ولجنا إلى كابين القيادة فوجئت باثنين من الآليين ينكبان على شبكة من العدد والأسلاك المعقدة.. وقد انهمكا فى عمل يؤديانه بحرص وهدوء..

–هذان اثنان من ملاحى المركبة الخمسة.. المجند الآلى «ذوا» والمجند الآلى «كراك» .. ثم تناول الرجل من أقرب الآليين إليه قطعة معدنية ذات أبعاد دقيقة.. ومدها ليضعها تحت بصرى..

– اصطدام السفينة بالتلة.. أدى إلى شرخ هذه الصامولة المزدوجة.. وهى قطعة حيوية يستحيل الاستغناء عنها..

تفحصتها على عجل وهى فى يده.. ثم ملت برأسى أطل عبر كوة شفافة فلم أر غير رقاع الرمال تمتد فاقعة الصفار.. فتساءلت..

– والمقدمة المنغرسة؟

– مقدور عليها.. يمكن للآليين سحب المركبة..

فعدت أنظر إلى ما فى يده وأركز اهتمامى عليه..

– إذن العلة فى الصامولة.. وحدها..

سره اهتمامى.. قربها منى، أسقطها فى يدى «الأفضل أن تختبرها بنفسك» فأمسكتها لأجدها ثقيلة بالنسبة لحجمها.. ووجدت تروسها بنفسجية حادة كالموسى.. وسطحها ناعمًا كالحرير..

قلت: رغم دقتها.. بمقدورنا صنع مثيل لها..

www.ibtesama.com

– بل أريد ثمانية قطع مطابقة على الأقل.. لا واحدة.. فنحن ندخل فى صناعتها مادة التفتيكون التى تفوق الصلب قوة واحتمالاً.. لكن لا يوجد منها على كوكبكم.. ولما كانت رحلة العودة طويلة لذا سنحتاج عددًا من وحدات هذه الصامولة كاحتياطى نستبدل منه فى حالة حدوث شروخ فى القطع المستخدمة..

صحت معترضًا : ثمانية؟!

عبرت قسماته عن أسفه: هكذا نصحت العقول المفكرة..

وجدت قبالتى مقعدًا فارتميت عليه: سأحاول..

استقام فى مواجهتى وسيمًا ممشوقًا.. وقد عادت ابتسامة تغرق قسمات وجهه.. تحت هالة من الشعر الفاحم ينسدل على أذنيه ناعمًا هفهافًا.. وكأنه لامرأة جميلة وليس لرجل..

– اتفقنا يا دكتور.. تمدنى أنت بقطع الصواميل الثمينة.. وأنا.. أنا أمدك بكل ما تريد معرفته عنى.. وعن مركبتى الكونية.. والأهم عن الكوكب الذى أتيت منه ومخلوقاته على تنوعها.. سوف أجيبك على جميع أسئلتك.. فقط أدعوك إلى كتمان سرى.. فى الآونة الحالية..

* * *

www.ibtesama.com

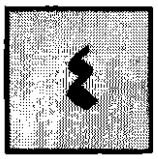

– من أنت..

– أنا ابن النجوم.

– أهذا اسمك؟

– فقط نادنى به..

– وموطنك .. أقصد من أين قدمت؟

شرد ببصره بعيدًا.. إلى مسافات قصية فى عمق اللانهائية.. واتكأ على الجدار يتكلم وعيناه نصف مغمضتين..

– لقد ولدت ونشأت فى جزيرة كونية دائمة التحليق.. جزيرة أشبه بمركبة مدارية ضخمة.. وتحمل الرقم مائة وثمانية من سلسلة الجزر السابحة حول الكوكب آميتون.. وهو بالتالى كوكب صغير من مجموعة النجم الغبارة الماسية.. وهو أقرب النجوم الحمراء الثلاثة ويبعدون عن أرضكم بمسافة نحو ثلاث سنوات ضوئية..

أذهلنى رقم سنوات الضوء الذى ذكره.. وبحسبة بسيطة يعنى أن كوكبه يبعد عن أرضنا بثمانية عشر مليون مليون ميل.. ولما كانت سرعة الضوء يستحيل الوصول إليها.. فمعنى عبور هذه المسافات الأسطورية حتى تصل مركبته إلينا.. أن المركبة قد قطعتها فى زمن أطول مما ذكره.. ووجدت السؤال يفلت منى فى صيغة اتهام له بالكذب..

www.ibtesama.com

– هراء.. الذى تذكره هراء.. وإلا فكم من مئات الأعوام مرت حتى وصلت إلى كوكبنا.. لا لا.. لا أصدق حتى لو قلت ببلوغ مركبتك سرعة الضوء فأنى لكم بالقدرة على ذلك..؟! أى طاقة؟ وأى وسيلة؟ تكونون قد ابتكرتم؟!

بهدوء شديد أقرب إلى البرود.. وقد شمخ بأنفه ونفخ صدره.. وثب مبتعدًا عن الجدار.. واستقام فى مواجهتى يقول متعاليًا..

– ألم أقل إننا نستمد قوة الدفع لمركباتنا الكونية من طاقة بلازما رياح النجوم؟

– وماذا فى ذلك؟

تطلع إلىَّ طويلاً.. كان يدرك أننى رغم قدراتى العلمية فإنى لن أفقه ما يقصده.. فانطلق يتكلم ببطء وتركيز..

– الأمر معقد يطول شرحه.. لكن بإيجاز.. أليست للصوت سرعته المعروفة لديكم؟

– أجل..

– وقد أمكن لنفاثاتكم أن تبلغها خلال طيرانها.. وبعدئذ تتعداها فيما يعرف باختراق حاجز الصوت أو بلوغ سرعة ماخ واحد؟

– هذا حقيقى.. وتصل سرعات نفاثاتنا الآن إلى ماخ ثلاثة والصواريخ إلى ما فوق ذلك..

بان الارتياح بطول وجهه..

www.ibtesama.com

– هذا عندكم.. أما نحن فقد ساعدتنا طاقة البلازما باتحادها مع طاقة الهباء الكونى على اختراق حاجز الضوء.. وبالتالى تخطيه..

بدا الأمر فوق تصورى واحتمالى.. قلت بعصبية..

– لكن هذا يعنى التحول إلى.. إلى شعاع.. ويعنى تخطيكم الزمن ذاته! لا حظت ضيقه بكلماتى المعترضة.. وتلكؤ استجابتى الذهنية..

– وما المانع.. نحن إنما نمتلك بالفعل القدرة على الانطلاق فى المستقبل مباشرة.. فقط فى حالة الترحال الكونى.. أو حيث تتوفر مادة هباء الكون التى لا توجد سوى فى الفراغات العظمى بين الأجرام السماوية..

دمدمت: وهذا.. الهباء.. الكو...

قاطعنى برفق: سيدى الدكتور.. أعرف أنكم لا تعلمون شيئًا بعد عن هذه المادة فأرجوك أن تصبر حتى أعطيك فكرة عنها..

لوَّحت بطول ذراعى.. كدت ألمس بإصبعى خده.. وأنا أقف مهتاجًا.. حانقًا: لا.. كفى.. إن الذى تنطقه لا يمكن تصديقه.. وأنت بالقطع تنسى أنك فى حضرة عالم ومتخصص..

جرحته كلماتى الغضبى.. وفى محاولة منه لتهدئتى لاحظت أنه يكظم انفعالاً وتوترًا بداخله..

– دكتور نجاتى.. لقد صارحتك منذ أول لقائى بك أننا نعلم تمامًا من أنت.. وأننا نقدر لك جهودك ومكانتك لأقصى حد..

www.ibtesama.com

لا سيما وسط تخلف يشمل كوكبكم بنسبة ثمانية وثمانين فى المائة من سكانه.. ومنذ البداية ما كنت لأكشف لأحد غيرك عن شخصيتى الحقيقية فقد يكون فى ذلك هلاكى.

هدأت مشاعرى بعض الشىء إزاء الصدق الذى نطق به.. فعدت إلى الجلوس بينما تابع بصوته العميق وقد ميزت حرصه كذلك على تهدئتى..

– وكما قلت لك يا دكتور فاتحاد عناصر المادتين ينتج طاقة لم يتوصل إليها سوى العلماء من أفراد شعبنا.. وبذا أتيح لنا صنع مركبات تمتطى الزمن.. تنصهر فيه وتصبح من مكوناته.. لتتسلل إلى المستقبل الآتى..

استوقفته: سمعتك تذكر ما ينصهر فى الزمن.. تعنى المركبة بالطبع.. كيف؟

– آه .. إنه الوسط المحيط بالمركبة.. النفق الذى تسعى من خلاله فى طريق تقدمها الحثيث.. ذلك فقط هو الذى ينصهر أو يتلاشى ضمنيًا بالقفز إلى المستقبل.. فى حين تبقى المركبة بمحتوياتها دون أى تغيير.. فمتى هدأت آلاتها وانخفضت سرعتها تلاشى ما حولها وعادت إلى وضعها الأصلى.. بعد أن تجتاز المسافات الشاسعة فى زمن يسير!

وما زلت متحيرًا غير مصدق: فكم تختصر أسفاركم بهذه الكيفية من الزمن المقدر لسنين الضوء خلال رحلة كونية؟

– خمسة أسداسها تقريبًا..

www.ibtesama.com

حاولت الحساب بالأيام: تقصد أن الرحلة من كوكبكم «آميتون إلى كوبنا الأرض».. استغرقت..

– مائة وتسعين يومًا بحسابكم..

همست لنفسى مبهورًا: معنى امتلاكنا لو امتلكنا مثل هذه الطاقة.. وهذه التقنية أن يستطيع الإنسان الطواف وتفقد أنحاء مجرتنا سكة التبانة فى بضع سنوات.. فيلم بأنحائها فى نحو عشرة قرون..

وبعدئذ ينطلق إلى المجرات الأخرى خلال مزيد من القرون ومزيد من عمر البشرية..

شرد تفكيرى.. واشتط خيالى.. وانقذفتُ بكيانى آلافًا من الأعوام فى عمق المستقبل.. عمق الوجود الحى.. الذكى.. المؤثر..

فرأيت إنسان الأرض يهبط على ثرى أجرام نائية متباينة.. ورأيته يرسى أقدامًا ويمد جذورًا ويشيد صروحًا على آلاف من أجرام السماء بأنحاء شاسعة ممتدة..

ثم صدمتنى رؤية مباغتة.. أفاقتنى من حلمى.. وعذبتنى.. ملايين من نباتات الفطر.. شيطانية.. سامة.. كريهة.. تنشق عنها أراض بملايين من الأجرام التى ارتادها هذا الإنسان.. تنتشر خلالها بأذرع ومخالب.. تشع وتمطر مطرًا أسود فتتلوث الأنحاء وتتخرب.. ويسودها الصمت الأبدى..

فهل قدر للإنسان أن يحمل معه صراعاته وحماقاته وعبثه.. وأطماعه التى لا تنتهى.. فيزرعها دومًا حيث تستقر أقدامه..

* * *

www.ibtesama.com

فى نهاية ساعة ممتدة حفلت بالإثارة لأقصى حد.. وكأنها دهر طال بى وطوانى بأعاجيبه وغرائبه.. غادرت المركبة الكونية.. وأنا أكثر حيرة وشرودًا وانبهارًا مما كنت قبل دخولها.. لكننى كنت قد عقدت العزم على إنجاز مهمة بعينها والانتهاء منها بأسرع مما أستطيع..

فإذا كان هذا المخلوق الآخذ شكلاً بشريًّا.. لم يفصح لى عن كافة أسراره بعد.. فإننى متى أجبت له رغبته وأمددته بقطع الغيار التى يريدها لمركبته حصلت منه على كافة التفاصيل.. عنه وأقرانه وعن مقومات حضارتهم المتقدمة على كوكبهم البعيد.. أما ما سأجنيه.. من وراء حصولى على ما لديه.. وانفرادى بلقائه ومصاحبته وكشف خفاياه فهذه قضية خطيرة أخرى لم يحن بعد وقت للتفكير فيها وترتيب حسابات ذيوعها..

* * *

منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي

www.ibtesama.com

٥

ظللت اليوم بطوله أحس اختناقًا.. كابوسًا ثقيلاً جثم على صدرى فكتم أنفاسى وقيَّد حركتى.. وشوش تفكيرى..

هل يعقل أن أحمل السر المذهل دون أن أقوى على إعلانه.. ولا البوح به ولو لشخص واحد.. فأستريح..

وخلال سيرى رائحًا غاديًا فى عصبية داخل حجرتى بالفندق كدت أكثر من مرة كلما حاذيت النافذة المطلة على الحديقة يمينًا والشارع يسارًا أن أصيح بملء فمى: «يا قوم لقد وفد كائن فضائى إلى أرضنا.. وهو موجود بيننا الآن»..

لكننى كنت أدرك عقم المحاولة.. فلن يصدقنى أحد.. ولو صدقونى فى المبدأ فسرعان ما سأعجز عن تقديم دليل واحد.. بعد أن يكون قد اختفى الكائن أو قتل نفسه.. وبذا أخسره وأخسر كل ما أمنى نفسى بالحصول عليه من معلومات لم يعرفها بشر قبلى.. معلومات لا تقدر بثمن.. فى حين تضاف اتهامات جديدة إلىَّ قد تصل إلى حد العته والجنون..

وارتميت أتكئ على حافة الفراش الوثير.. وأغوص برأسى بين وسائده.. بينما تدوى كلمات ابن النجوم المنذرة فى أذنى.. «أرجوك.. لا داعى على الإطلاق أن يعلم أحد بمقدمى.. ولا بوجود المركبة المعطلة.. وإلا اضطررت إلى الاختفاء كلية.. أما المركبة

www.ibtesama.com

فما أسهل تفجيرها وطمس معالمها.. وصدقنى .. لدينا الوسائل التى تخفى كل أثر لها»..

ولم أجد فى النهاية بدا من ارتداء ملابسى استعدادًا للسفر إلى القاهرة.. فقد انتويت الذهاب لابن شقيقتى بخصوص الصامولة التى يريدها ابن النجوم..

* * *

استقبلنى ابن شقيقتى وزوجته بالأحضان.. ولم يخفيا دهشتهما من زيارتى الليلية المفاجئة.. خاصة بعد اختفائى المريب من منزلى فى أعقاب ما أدليت به من تصريحات صحفية متحدية.. فى مؤتمر أكاديمية العلوم الفلكية منذ قرابة شهر مضى..

وبينما أقبل أطفاله الثلاثة وأحمل صغيره ياسر الذى قذف بنفسه يتعلق برقبتى.. أخذت زوجته دلال تمطرنى بأسئلتها..

– لقد سببت لنا قلقًا بالغًا.. لم يترك عبد الله مكانًا يعرف ترددك عليه إلا وسأل فيه عنك.. فأين كنت مختبئًا أبمصر أم بخارجها؟ فى حين احتوانى عبدالله بنظراته الحانية وهو يقول..

– تتوارى أنت فى واحد من مخابئك.. ونصارع نحن خوفنا عليك!

حاولت أن أسرى عنهما بعد أن شغلت الصغار ببعض الحلوى..

– لا مخابئ ولا غيره.. إنما أنا أمضى فترة استشفاء من آلام مفاصلى.. بقرية النجع..

www.ibtesama.com

هتف عبد الله : آه هذه غابت عنى..

على أن زوجته أنهضتنى وهى تجذبنى من ذراعى فى اتجاه المائدة المعدة..

– لقد كنا نوشك أن ننعشى .. فهيا معنا.. الفول بالبيض يناديك..

وهكذا التففنا حول مائدة الطعام المستديرة يغمرنى شعور الفرد حين يتصرف فى بيته.. فبيت عبدالله كان دائمًا أقرب البيوت إلى قلبى.. ولو كنت تزوجت وأنجبت أبناء ما كنت أظن أننى واجد لديهم أُلفتى وراحة نفسى بأكثر مما يحققه لى ابن شقيقتى عبدالله.. على أنى اكتفيت بتناول لقيمات قليلة نهضت بعدها وعدت إلى جلستى السابقة، وأشعلت لفافة..

وجلس عبد الله إلى جوارى يشعل لفافة بدوره..

وفى هذه اللحظة أخرجت صامولة مركبة الفضاء الكونية ووضعتها بهدوء على ذراع مقعده الفوتيه.. بعد أن وضعت أسفلها مجلة قديمة..

– ما هذا؟؟

تناولها ووزنها بين أصابعه ودقق فيها بصره مستغربًا..

– ليست جزءًا من سيارة ركوب.. ولا أعرف آلة ضمت مثيلاً لها.. ولا هى على الأرجح قطعة من نفاثة أو قطار كهربائى.. ولا أظنها رباط ترس من تروس ساعة عملاقة مثلاً!!

وانضمت دلال تتأملها فى يد زوجها..

www.ibtesama.com

– ما شأنها؟

وجهت الكلام لعبد الله : لا أدرى فيم تستخدم .. هى تخص صديقًا لى.. وقد اكتشف تلفها، وجد بها شرخًا..

تمتم عبد الله: آراه واضحًا.. وهل صديقك هذا يرغب فى صنع قطعة مثلها؟

تشاغلت بالعبث فى ربطة عنقى: بل ثمانية قطع..

أطلق عبدالله صفيرًا عاليًا.. ثم عاد يقلبها ويختبر سطوحها..

– ألم يخبرك بشىء عن مواد صنعها؟

– لا .. بالمرة ..

– محير أمره.. أرى من نعومة ملمسها.. وابيضاض لونها الرمادى فى الأطراف والحواف الحادة منها.. أنها من صلب راق جدًا.. عجيب..

– قد تكون كذلك..

توقف عن تقليبها.. أغلق أصابعه عليها بعنف وهو يريح قبضته على ساقه: إنها ثقيلة أيضًا.. تصور؟ تجاهلت ملاحظاته: المهم.. هل أنت قادر على صنعها؟

ظل يتأملها بتمعن: أعاننى الله..

أسرعت أسأل: إذن ما التكاليف؟

عاد يصفر: القطع الثمانية؟ تكلفة كثيرة يا خالى..

أومأت موافقًا: طلباتك مجابة..

www.ibtesama.com

– لن تقل القطعة عن مائتى جنيه.. الثمانية تكلف نحو ألف وستمائة جنيه.. وربما ألفى جنيه..

بدا الرقم مناسبًا لاتفاقى مع ابن النجوم فتناولت حقيبتى وأخرجت منها المبلغ المطلوب..

– هاك يا عبدالله ألفى جنيه.. ولو طلبت المزيد فقط أخبرنى.. إلا أن عبد الله بقى على جموده.. أعرفه حين يتردد ويصاب بالحرج.

تساءلت: أهناك ما يضايقك؟

خفض من بصره: هل أنت متأكد يا خالى.. من نيات صديقك؟

– كل التأكد؟

– ولن يستخدم القطع فى أمر غير مشروع.. أقصد.. أن الرجل لا يخدعك.. أو..

قاطعت ابن شقيقتى بمنتهى الصدق: اطمئن يا بنى.. سيظل خالك شريفًا قبل كل شىء.

تراخت قسمات عبدالله: إذن تستلم القطع. خلال أسبوع.. ثم غرق مرة أخرى فى تفحصها.. أجل سأصنعها..

– حسن.. سأنتظر منك مكالمة هاتفية.. بفندق النخيل الذى أقيم به فى قرية النجع.. حتى أحضر لك وأتسلمها..

وأعطيته رقمى هاتف الفندق..

عدت إلى قرية النجع بعد تركى لها بيومين.. وفى حديقة الفندق قابلت ابن النجوم.. وجدته يجلس فى استرخاء لدى أقرب

www.ibtesama.com

موائدها إلى باب الدخول وعيناه مركزتان عليه.. اقتربت منه وأنا أرسم على وجهى ابتسامة منتصرة..

– لقد وفقت .. سيصنع لك ابن شقيقتى ما تريد..

أجاب فى اقتضاب : أعرف ذلك..

دهشت : تعرف؟ ممن؟

– لم أتصل بأحد..

– كيف إذن..

– حين غادرتنى آخر مرة.. منذ يومين.. تركت معك.. فى داخلك.. جزءًا من ذاتى التخاطرية لمساعدتك .. لكنك تصرفت دون احتياج إلىَّ..

بهت.. كانت معلومة غاية فى الغرابة والخطورة والدقة معًا.. ولا تتفق إطلاقًا مع الهدوء الذى أتت به على لسانه..

– أرجوك.. أعد علىَّ ما قلته.. ما الذى تركته معى.. أو بداخلى.. ولم أشعر به؟!! عندئذ انطلق ابن النجوم يشرح لى واحدة من أبرز سمات التفاهم.. والتعاون.. على البعد.. أى بالتخاطر.. بين أفراد سكان الكوكب آميتون وبعضهم البعض.. فلدى كل منهم غدة تفرز أو تطلق شحنات موجبة.. تكمن بالمخ وترافق من يراد مرافقته.. وعن طريق هذه الشحنات الموجبة يعرف الأحداث أولاً بأول ويستجيب لمجرياتها أولاً بأول.. وقد كانت لإنسان الأرض البدائى مثل هذه القدرة.. إذ كان يمتلك ذات الغدة إلا أنه أهملها ولم ينمها حتى اضمحلت..

www.ibtesama.com

بغتة تبادر إلى ذهنى سؤال طالما أجلته أو نسيت أن أطرحه على ابن النجوم..

– من فضلك.. هل أنتم أصحاب الإشارات الموجية المنغمة من نوعى (النقط والخطوط) التى تبث فى الفضاء؟

– ماذا قلت.. إشارات؟

– منذ أربعة عشر شهرًا وأنا أتابع من محطة آذان الاستماع العملاقة بمرصد القطامية.. إشارات موجية.. التقطتها صادرة من منطقة النجم أبسيلون النهر.. وأمكننى بالفعل ترجمة أجزاء كبيرة من فحواها..

– فهمت.. تقصد الرسالة الموجية التى تبث بصورة منتظمة كل سبعين ساعة.. وتعلن عن وجود شعب الشاشانويين.. ورغبتهم فى التعارف وتبادل المعلومات عبر مسافات الكون!

اجتذبتنى كلماته: إذن فالشاشانويون اسم لمخلوقات.. لقد حيرتنى بالفعل نغمات هذا الاسم.. فظننتها مصطلحًا يعنى كيفية الرد والاستجابة لإشارتهم..

استطرد ابن النجوم: لا ليس آميتون مصدر هذه الإشارات.. إنما هو كوكب الشاشانويين المسمى يونا.. وموقعه أكثر بعدًا عن موقع كوكبنا.. ويونا مستقر بالفعل فى مجموعة النجم أبسيلون على بعد أحد عشر عامًا ضوئيًا.. لكن الإشارات حقيقية ومصدرها حضارة على قدر متوسط من الذكاء.. ذكاء يقع فيما بين قدراتكم أهل الأرض.. وقدرتنا نحن أهل آميتون..

www.ibtesama.com

يا إلهى .. ألا توجد نهاية لدفقات الانفعال التى تنصب علىَّ وتتقاذفنى يمينًا ويسارًا.. بينما تتكشف أمامى دنيا جديدة مبهرة من كشوف العلم.. يفنى علماء غيرى أعمارًا لهم من أجل الحصول على أقل القليل مما أحصل عليه أنا الآن..

فأولاً فاجأنى ابن النجوم بأسرار غدة التخاطر.. وها هو الآن يكشف لى مزيدًا من الأسرار حول مصدر الإشارات الموجية التى تحمل همسات حضارة ذكية لأخرى..

وتوقف بى التفكير قبالة ما أكده الكائن ببساطة وصدق.. «لكن الإشارات حقيقية» .. حقيقية.. حقيقية.. بعد كل الذى عانيته من زملائى هى حقيقية..

وكاد يغمى علىَّ من شدة الفرح.. أوشكت أنا الرجل الوقور أن أصيح من فرط سعادتى وحبور قلبى.. فها هى ذى كلمات الكائن القادم من قلب المجرة ترد لى اعتبارى.. تعلن أننى على حق وبقية العلماء الذين سخروا منى على باطل ومتخلفون..

همست لنفسى مزهوا: إننى لقد أصبت فى اكتشاف البث الموجى لحضارة ذكية..

وتمتم ابن النجوم بدوره: لو تعلم.. لو نطلع على مزيد من خفايا الكون العظيم.. لهالتنا الرؤية.. فلابد أن مئات.. بل آلافًا.. من المجرات تحوى ملايين الكواكب.. وتعمر بالحياة والخلق والنماء..

* * *

www.ibtesama.com

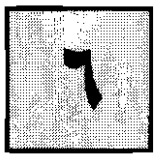

تأخرت فى الاستيقاظ صباحًا.. وحين اكتملت يقظتى غادرت الفراش بصعوبة.. فقد أرهقتنى تنقلاتى من النجع إلى القاهرة ثم العودة للنجع دون أن أعطى لبدنى فرصة للراحة.. كذلك أدى سهرى فى حديقة الفندق وسط جو القرية المشرفة على الصحراء وهو جو قارى بارد.. رغم حرارة الصيف التى تغمرنا نهارًا.. أدى هذا إلى إصابتى بنزلة برد..

فلما سألت عن السيد (صديقى الأجنبى) كما اتفقت على تسمية ابن النجوم أمام موظفى الفندق.. قيل لى إنه قد صعد إلى شرفة السطح وهو مكان خصصه الفندق لنزلائه ليتيح لهم رؤية القرية من أعلى طوابقه الخمسة.. وهكذا رحت أصعد السلم على مهل إلى أن بلغت أعلاه لأجد المكان يتلظى بأشعة الشمس المباشرة.. بينما استقرت كراسى الخيزران شاغرة تحت بصرى..

فلما ناديت على ابن النجوم سمعت لدى الجانب المقابل من الشرفة حركة مباغتة لاحتكاك كرسى.. وهناك لمحت قامته وهو يرتدى قميصه على عجل وفوقه صديريته ويحكم أزرار الاثنين.. فهل كان ابن النجوم يجلس عاريًا تحت الأشعة الحارقة.. التى لا نحتملها حتى بملابسنا!!

لماذا يفعل ذلك.. وكيف يطيق سخونة هذه الأشعة؟

www.ibtesama.com

ولماذا سارع بستر جسده حين رآنى؟!

قادنى تفكيرى إلى فرضية إصابته بتشوه ربما لحق بصدره وربما بظهره.. واسترحت لهذه الفرضية.. لكنى لم أسترح إلى جهلى بمظهر جسده تفصيليًّا من الخارج ومكوناته تفصيليًّا من الداخل! فلابد أن أعرف ذلك كله عن هذا الكائن الوافد.. إلا أننى رأيت أن لا مجال لذلك الآن..

اخترت كرسيًّا تحت مظلة كثيفة من النباتات المتسلقة.. وقرب كرسيه وإن استبقى أغلب رأسه غير محتجب عن الشمس.. وتواجهنا فى جلوسنا لو لاحظ كم التفكير العميق الذى يحط عليه .. فلأول مرة بدلاً من المرح والابتسام بدت قسماته الحادة بارزة التفاصيل تغرق فى القلق والمرارة.. كما تبينت ازرقاقًا أو هى عتامة مخضرة تتماوج على رقبته وإلى ما تحت ذقنه.. وكأن ابن النجوم قد تعرض لضربة أو التواء قاسٍ فى عضلات رقبته وصدره..

– أهناك ما يكدرك؟

سألته محاولاً الوصول إلى ما فى داخله..

هز كتفه وقال إنه الموعد الذى ارتبطت به مع ابن شقيقتك..

تقصد موعد استلام الصواميل..

– إنه موعد بعيد.. سيؤخرنى..

– بل هو مناسب .. فالمطلوب عمله دقيق.. وصعب..

حرك ابن النجوم رأسه فى يأس.. وقال فى تعجب..

www.ibtesama.com

– أن تصنع خمسين قطعة من الصامولة التى أحتاجها.. لا يستغرق على آميتون سوى دقيقتين لا أكثر.

قلت جادًا: من تكوين مركبتك الفضائية المحبوك.. ومن دقة ما بها من أجزاء وآلات وتفوق فى المعدات.. ومن انطلاقاتك عبر ساحات الكون ومن القدرة على قهر برودتها وخوائها حتى أتيت إلينا.. فأنا جد واثق من تفوق حضارتكم.. لكن أدعوك أن تثق فى عبد الله.. فهو مهندس كفء.. ودِءوب.. أما مسألة الوقت فلا تدقق فيها يا صديقى..

أشاح بوجهه: الوقت مهم.. جدًّا..

قلت أهدئه: بل الأهم أن تتسلم قطعًا مطابقة.. جيدة الصنع..

– سوف نرى..

وتطرق الحديث إلى موضوعات جانبية حول الحياة على كوكبنا وطموحات البشر عندنا عبر تاريخهم الحافل.. ورغم تقطيبة الامتعاض التى لم تفارق وجه ابن النجوم فقد استطعت فى النهاية أن أستحوذ على اهتمامه..

* * *

بمرور الوقت تعودت وجود ابن النجوم وجلوسه بمفرده فى شرفة سطح الفندق منذ الصباح الباكر وحتى الضحى.. ورغم انشغالى بمراقبة المخلوق الوافد من خارج كوكبنا وتدوين عشرات الملاحظات والانطباعات عن شكله وتصرفاته.. وعن مدى تشابهه أو اختلافه عن إنسان الأرض.. وكذا عن كافة ما يدلى به من معلومات وأقوال.. إلا أننى احترمت عزلته حين كان

www.ibtesama.com

يجلس بشرفة السطح.. بل توقفت عن الصعود إليه وبت أنتظر أن يهبط هو إما إلى بهو الفندق أو إلى حيث يجلس لدى مائدة بالحديقة والتى تغطى بالشماسى نهارًا.

وصل ما دونته من كتابات متفرقة عن ابن النجوم ما يملأ كراستين منذ أول لقائى به من خمسة أيام لم أغفل خلالها عن حركة أو لفتة أو أقل بادرة صدرت عنه..

وإذا كان حماسى قد غذته عدة اعتبارات فقد ظللت أرزح تحت وطأة عاملين رئيسيين منذ تأكدت من حقيقته.. فكونى أول من عرف بسر الكائن الوافد والوحيد الذى أصطحبه منذ البداية يحملنى مسئولية بالغة الأهمية والخصوصية.. ثم إننى فى ذات الوقت كنت ما أزال أعانى قهرًا وإحباطًا من جراء لقائى ذلك المخجل بالصحفيين وما أدليت به يومذاك من تصريحات لم يصدقها واحد ممن حضروا..

على أن ما جرى لابن النجوم فى سادس أيامه معى أضاف بعدًا جديدًا فيما أسجله عنه.. فلدى هبوطه من شرفة السطح فى ذلك اليوم وجدته قد استرد الكثير من مرحه وحيويته وسرعان ما فاجأنى بطلبه الطفولى الغريب..

– دكتور نجاتى.. لدى اليوم رغبة زائدة.. فى تجربة ذلك الصندوق..

تساءلت وأنا أحاول تتبع إشارة إصبعه: أى صندوق؟

– الذى تستخدمونه بكثرة فى تحركاتكم.. ذلك الذى ركبناه معًا ذات مرة .. مثل هذا..

www.ibtesama.com

ضحكت: تقود سيارة!!

– نعم.. فى سجلاتنا القديمة إشارة إلى سابق معرفتنا لهذا الشىء البدائى الذى تسمونه سيارة..

تنبهت حواسى : وكيف تتنقلون أنتم؟

– أوه.. بأكثر من وسيلة.. هناك مسارات القطارات الدودية.. وتندفع بمضاعفة جاذبية الكوكب وتركيزها فى أنفاق سفلية تحت الثرى.. وهذه تربط المدن القريبة فسرعاتها ليست كبيرة.. نحو اثنين إلى أربعة ماخ.

– وللمسافات البعيدة؟

– على الثرى لدينا أيضًا محطات التحول الموجى.. أى بتحويل الأفراد والأشياء إلى موجات إشعاعية تطلق من مكان لآخر.. فمتى وصل عاد إلى تكوينه الأصلى.. أما فى الجو فيما بين الجزر المدارية.. فنستخدم نوعًا أكثر تطورًا من هذه المحطات..

همست لنفسى: أنتم متقدمون بكيفية .. مذهلة إذن..

واصل قائلاً: تبقى وسائل التنقل فى الريف.. وسط مزروعات المحاصيل المغطاة.. وهذه لم تتغير منذ عهد بعيد.. حيث يمتطى آليو الحقول الجو بوسائل حمالات الظهر الفردية النفاثة..

قلت فى استياء: قواتنا العسكرية تستخدم الأخيرة.. منذ أقل من عام!

فى السيارة التى وقفت أخيرًا لاستئجارها وكانت ذات طراز قديم ومستهلكة.. جلس ابن النجوم فى مقعد القيادة وجلست إلى

www.ibtesama.com

جواره.. وبينما ينهمك فى محاولاته للسيطرة على السيارة النصر البيضاء وأقوم أنا بمساعدته.. لم يكف عن تناول سيرة علماء كوكبه فى شتى نواحى الكشف والابتكار العلمى.. متطرقًا من وسائل النقل إلى غيرها من المجالات.. ومعلنا أن كل تقدم إنما يتم دائمًا بجهود جماعية.. فالسيادة على آميتون هى أولاً للعقول الآلية المفكرة.. وثانيًا للفرق الجماعية.. فمتى برز التخصص فى روافد فرعية.. فإن الروافد تتجمع فى مسارات أكبر.. وأكبر.. إلى أن ينصب الكل وبصورة جماعية منسقة نحو الغرض النهائى المنشود.

فجأة التفت إلىَّ وقد بدا منتشيًا عابثًا..

– أتعرف.. كم أنا سعيد بقيادتى لهذه السلحفاة الصدئة أكثر.. مما أسعد.. بقيادة مركبة فضاء.. تسابق الزمن..

أجبته وقد نسيت لثوان أننى أتفاهم بالفعل مع كائن ينتمى لعالم غير عالم الأرض..

– أرجوك .. ركز على الطريق أمامك.. وأنت تكلمنى..

فهذه طرق يتحرك فيها أناس وسيارات وعربات من كل لون.. وليست فضاء مفتوحًا بلا عوائق..

اعترض معاندًا وهو يندفع فى منحنى تجاه اليمين..

– أين هم المارة.. إن قريتكم هذه .. مهجورة.. لا أحد.. يـ.. آه.. ما هذا.. آه آه ..

www.ibtesama.com

جرت الواقعة فى ثوان ولم يتم جملته بعد..

فقد برز قطيع من الأغنام والماعز وكأن الأرض انشقت عنه.. يسد الشارع من جانب إلى الآخر.. وحين حاول ابن النجوم أن يتفادى الحيوانات المندفعة بلا هدف آخذًا أقصى يمينه.. صعد إلى الطوار.. ورغم زعيق الفرامل لم يكن أمامه مفر من أن يصدم الفتاة الراعية برفرف السيارة ويقذف بها لعدة أمتار بين أغنامها..

* * *

منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي

www.ibtesama.com

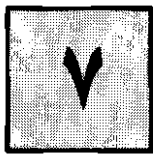

جمدت فى مقعدى مذهولاً.. لكن ابن النجوم فتح باب السيارة بلمسة من يده.. وانفلت إلى الخارج.. وفى ثانية تالية رأيته ينحنى على راعية الغنم ويتفحص رأسها وجسدها وأطرافها.. فلما واتتنى الشجاعة أخيرًا وهبطت ألحق به كان هو قد حملها بين ذراعيه.. وقد انطفأت ابتسامته وتلاشى مرحه وخلا وجهه من أى تعبير إلا الصرامة..

حاذيته متلهفًا وجلا: هل إصابتها بالغة؟

أجاب بينما يتقدمنى وأجاهد لمجاراة قدميه القويتين واللحاق به..

– هى سليمة .. فقط مغمى عليها..

– هل أنت واثق؟

السيارة لم تصدمها.. إنما هو مجرد احتكاك دفعها لتسقط على حيوانات الفراء هذه فوقتها من الارتطام بالأرض..

وأجلس ابن النجوم الفتاة فى ظل السيارة.. بينما أبقى رأسها يريحه على ذراعه وقد افترش بدوره الأرض وراح يراقب وجهها وعينيها المسبلتين.. فى قلق حاول أن يخفيه تحت قناع الصرامة..

تفحصت الفتاة من وراء كتفه..

www.ibtesama.com

كانت رغم سمارها مليحة الوجه يسترسل شعرها الفاحم من تحت منديل أحمر موشى. وكأنه جدول رطب يلطف حرارة الجو ويخفف من امتداد الصحراء بعمقها الموحش..

فتحت الفتاة عينيها ببطء..

سبحان الله فى وسعهما وجمال حورهما..

تمتمت الفتاة بعربية فيها لكنة الغجر بينما تنتقل ببصرها بيننا متحيرة..

– أين أنا.. ماذا جرى لى؟

استقام رأس الفتاة فسحب ابن النجوم ذراعه من ورائها.. لكنه لم يسحب نظراته المنزعجة الحانية.. وبدا كذلك أنه لسبب ما قد نسى نفسه.. فبدلاً من الكلمات أخذ يخرج من صدره أصواتًا رفيعة.. ممطوطة.. لها نغمات ملتاعة..

ملت على الفتاة وسألتها: أتحسين ألمًا فى موضع ما بجسدك.. أأنت بخير؟

حطت عينيها برموشها علىَّ.. بدت تائهة: ما الذى وقع!

قلت: طلعت فجأة بغنمك.. (وأشرت إلى ابن النجوم) فاضطر أن يمسك بجانب السيارة.. فوقعت بين خرافك وعنزاتك.

نبهتها كلمة الغنم إلى ثروتها المتحركة.. فقفزت منتصبة فى انزعاج وغضب.. واستدارت تلقى كل بصرها على حيواناتها وقد التفت فى دائرة واجمة.. تتطلع إلينا بألف عين غبية..

www.ibtesama.com

– يا ويلى وويلكم.. كم خروفًا ونعجة قتلتم؟ دعونى أرى..

صحت أهدئ ثورتها: أغنامك يا فتاة كلها سليمة..

لم تقنعها كلماتى.. واستمرت فى تفحص حيواناتها بعينيها الخبيرتين.. وقد بدأت تستعيد ما حدث منذ دقائق فتزداد اقتناعًا من استحالة مرور الحادثة هكذا بسلام..

فى النهاية استدارت إلى وتمتمت فى غير اقتناع: أراها.. سليمة..

تكلم ابن النجوم بعد طول صمت: المهم أن تكونى أنت.. بلا أى إصابة..

طوحت الفتاة رأسها تجاه محدثها.. ورمقته بنظرة عميقة فاحصة..

– حتى لو لحقنى مكروه.. فلابد أن تنجو أغنامى.. أمى توصينى بها دائمًا..

لكن ابن النجوم أبى أن يترك الفتاة قبل أن يستوثق من سلامتها.. وقد لمحته يخرج من جيبه علبة فى حجم علبة النشوق الكبيرة تناول منها بليتين من معدن فضى تماثلان كبسولتى الدواء.. غيب كل بلية فى واحدة من فتحتى أذنيه.. ثم انكب يعيد اختبار أجزاء ومناطق بدنها بينما يبدل البليات بغيرها من ألوان مختلفة.. فلما انتهى أغلق علبة بلياته.. والتصق يجلس إلى جانب الفتاة مفترشًا معها حافة الطوار.. وسرعان ما وجدته ينهمك وإياها فى حديث طويل..

www.ibtesama.com

وحين نبهت الكائن إلى مرور الوقت وتأخرنا على صاحب السيارة أبدى عزوفه عن قيادتها مرة أخرى.. وطلب منى أن أعيدها وحدى فهو باق لوقت إضافى مع الفتاة راعية الغنم.. التى عرفنا أن اسمها شوق.. وكانت حجته «حتى يتأكد نهائيًا من سلامتها الصحية والمعنوية فيريح ضميره» وعدت وحدى بالسيارة..

وطوال طريق العودة رحت أستوعب تصرفات الكائن ابن النجوم دون أن أندهش لها.. فلابد لمثل هذا المخلوق أن يختلف عن مخلوقات الأرض فى كثير.. هكذا كنت أفكر.. فإذا أخرج كرات من معدن أو من بلاستيك أو حتى حجارة وغيبها فى أذنيه أو ابتلعها.. وإذا ما أصر على أن يحادث الفتاة فى الطريق أو فى قصر، وسواء مكث فى ذلك ساعة أو أمضى يومًا بطوله.. جملة القول ليكن الكائن مصدرًا لأى سلوك من أى نوع.. فما على باحث مثلى إلا أن يراقب ويلاحظ ويدقق فيما يشاهد بعينيه ويسمع بأذنيه ثم يقوم بتسجيل كل ذلك بأمانة.. دون أن يسمح لتصرف منها أن يؤثر عليه.. مهما اشتط ونأى عما يألفه جنس البشر..

* * *

حين عدت إلى الفندق كانت أمامى مفاجأة غير متوقعة.. إذ وجدت المهندس عبدالله ابن شقيقتى يقف قبالة ركن الاستعلامات يسأل عنى.. كان يحمل حقيبته.. ومن ثقلها أدركت أنه أحضر قطع الغيار وبذا يكون قد وفق فى إنجاز ما طلبته منه فى زمن قياسى.

www.ibtesama.com

قلت له بعد أن أجلسته وطلبت له ليمونًا مثلجًا:

– آمل ألا تكون تجشمت عناء السفر بسببى.

– أبدًا يا خالى.. رحلتى بسيارتى لم تكن متعبة.

قلت وأنا أشمله بعينى حانيًا: لقد أعطيتك رقمى هاتف الفندق.. فلو اتصلت بى لحضرت إليك ووفرت عليك مشقة المجىء..

تطلع عبدالله إلىَّ بتمعن وكأنه يود قياس تأثير كلماته علىَّ .. وفى تحفظ جديد عليه.. على الأقل معى.. انسابت الكلمات:

– هناك سبب أهم دفعنى للمجىء.. فلابد أن أقابل صديقك الذى طلب قطع الغيار.. قبل أن أسلمها له..

توجست من كلمات ابن شقيقتى: هل جاءت تكلفتها أكثر مما قدرت؟

– لا.. إنما القطعة الأصلية المشروخة.. التى طلبت أن أصنع مثلها.. لم يرحنى ملمسها.. ولا دقة صنعها.. فلما فحصتها بأجهزتى فى معمل الشركة زادت ريبتى.. حتى أجريت تحليلاً لعناصرها فماذا تظننى وجدت؟

بالطبع كنت أعرف الجواب على سؤاله.. لكنى لم أجرؤ على النطق به صراحة.. وإنما تصنعت البراءة على الأقل مؤقتًا..

– ماذا وجدت؟

– لقد ضمت مكوناتها أربعة عناصر رئيسية.. ثلاثة مألوفة، أما العنصر الرابع فلم يكن معروفًا لدى ولا لدى غيرى.. وغالبًا سأتيقن من عدم وجوده ضمن عناصر أرضنا!

www.ibtesama.com

أتممت كلماته: ومن أجل ذلك.. جئت تتعرف على صاحب الصامولة الفريدة.. خاصة وقد طلب صنع ثمانى قطع مثلها؟

– هو ذلك.

أحنيت رأسى مؤكدًا رغبته: هذا حقك يا بنى.. إلا أن صديقى لن تراه قبل ساعة أو ساعتين..

ولم أزد.. تاركًا التصرف لابن النجوم، فقد يجد مخرجًا أو يكون أكثر لباقة منى.. وإن خمنت أن معرفة الحقيقة سوف تكون بكل المقاييس بالغة الوطأة على عبدالله مهما ترفقنا به!! هذا لو صدق منذ البداية إمكانية أن يأتى مخلوق ما من عمق الكون ويحل بأرضنا.. أما إذا لم يصدق.. أما إذا فشل ابن النجوم فى إقناعه فهل يرفض ابن شقيقتى بدوره أن يعطيه قطع الغيار؟

واحتوانى مشكل جديد بينما هو يشرب الليمون المثلج.. فهل يقبل ابن النجوم أن يودع سره لفرد آخر من البشر؟ وهنا ومض بذهنى خاطر فرض وجوده «ومن أدرانى حقًا أننى الوحيد العارف بسره»؟

ولما كان عبد الله ما يزال يحمل آثار السفر على وجهه وملابسه فقد أفقت على صوته يستأذن فى الصعود إلى الحجرة التى احتجزها؛ ليغتسل ويأخذ قسطًا من الراحة إلى أن أخبره بمجىء صديقى متى وصل.

* * *

www.ibtesama.com

على عكس ما توقعت، فقد استقبل ابن النجوم الخبر فى هدوء وسكينة.. بعد أن ظللت ثلاث ساعات أنتظر مقدمه لدى مدخل الفندق وأنا نهب للقلق ونفاذ الصبر.. وكان رده رغم اقتضابه ودودًا..

– كما تعرف قد تنبهت على البعد إلى معظم حديثك مع ابن شقيقتك.. إنه يشك فى الصامولة.. مخلوق ذكى.. معه حق؛ فالظروف كلها تدعو إلى الريبة.. لكن لأنه بشرى فهو فضولى بطبعه، ثم أنت تصفه بالأمانة والحرص وأنا أراه واعيًا.. لذلك سيتفهم الموضوع برمته.. سيقتنع بظروفى ومخاوفى ويقدرها.. لا بأس.. سأراه غدًا..

فى الصباح التالى جمعتنا مائدة الإفطار.. وبينما انهمكت وابن شقيقى عبد الله فى التهام عجة البيض الدسمة وما يجاورها من جبن وزيتون ومربة خوخ.. اكتفى ابن النجوم بشرب كوب من عصير البرتقال فى رشفات قصيرة متلاحقة..

وعندما رفعت صحاف الطعام انطلق الكائن بصوته ولكنته الأجنبية وبتركيز عينيه الزرقاوين يصفى الموقف مع ابن شقيقتى.. كاشفًا عن حقيقة كونه ليس أرضيًّا، وعن أن موطنه كوكب بعيد وليس كوكبنا.. إلى أن تطرق لما حدث لمركبته الكونية خلال رسوها على الأرض.. وطوال حديثه تتالت كلمات الكائن فى وضوح وحسم دون أن يتخلى عن هدوئه ورقة مظهره..

www.ibtesama.com

وبينما رحت أراقب فى شغف انطباعات الدهشة وهى تتلاحق لتصل إلى حد الذهول على وجه عبد الله.. فإننى أحسست فى ذات اللحظة انبهارًا بسلوك ابن الحضارة القصية فى صدقه وصراحته.. وفى الكلمات الشجاعة التى ينطقها بلا مواراة أو خوف..

على أنى عدت فركزت بصرى على عبدالله.. يعترينى الشعور بمدى الهوة التى يتردى فيها وهو يستوعب تصريح ابن النجوم.. ومدى التخبط والتشتت الذى يكابد.. فإذا كنت أنا الخبير العالم الذى طالما ناديت وأعلنت وتحديت من أجل ما اعتقدت بصحته قد اهتززت من أعماقى لمقدم ابن النجوم.. وأكاد أُكَذِّب أن كائنًا غامضًا بمقدوره أن يفد حقًّا من عمق السماء.. فما بال عبد الله.. مهندس شاب يخطو أولى خطاه فى مسيرة حياته.. وذهنه يخلو كلية من أى تفكير مسبق فى معضلات من هذا النوع..

– مكالمة تليفونية لك يا سيدى..

أفقت من تأملاتى وتبعت الجرسون إلى حيث استمعت لصحفية تدعى عثورها علىّ بعد بحث أضناها.. وأنها ترغب فى لقائى لإجراء حوار حول تصريحاتى عن «الحضارة الذكية فى الكون» .. لكنى اعتذرت لها واستطعت أن أؤجل اللقاء أسبوعًا بأكمله.. وحين أذعنت على مضض وجاءنى صوتها مخذولاً وهى تشكرنى اجتاحتنى ومضة إشفاق.. ولمع خاطر ساخر فى ذهنى «ترى ما الذى كانت تفعله الصحفية لو علمت بوجود ابن النجوم على بعد خطوة منى»..

www.ibtesama.com

لما عدت إلى مكان إفطارنا وجدت حدة الإثارة فى حديث ابن النجوم مع ابن شقيقتى قد خفَّتْ.. ورأيتهما يبتسمان.. بل وفوجئت بأنهما قد اتفقا على القيام برحلة بالسيارة إلى جهة ما فى الغد.. وأننى سأكون فى صحبتهما..

بعدئذ وقف ابن النجوم واعتذر باضطراره إلى تركنا، فلديه ما يشغله اليوم بطوله.. وأن لقاءنا التالى سيكون مع موعد الرحلة فى الغد..

لكنى استوقفته قبل أن يغادرنا لأسأله سؤالاً عابرًا لا أدرى كيف وضع على لسانى: أذاهب أنت إلى راعية الغنم؟

أجفل لأقل من الثانية.. ثم التفت إلىَّ مندهشًا..

– لا.. إنما إلى حيث أختبر سلامة هذه الصامولات البديلة.. ومدى ملاءمتها لموضعها فى أجهزة مركبتنا..

قالها وهو يرينى علبة قطع الغيار التى سلمها له عبدالله.. دون أن يتخلى عن نظرته المتفحصة لى .. وكأنه يود معرفة الدافع وراء سؤالى.. وخيل إلى أن الكائن ظل شاردًا مستريبًا إلى أن اختفى عن أنظارنا.. وحيث استدرت عندئذ وسألت ابن شقيقتى:

– والآن.. أى رحلة تزمعان القيام بها غدًا؟

لكنه بدا بدوره مثقلاً بأفكاره غارقًا فيها لدرجة أن أعدت سؤالى عليه: «إلى أين سنذهب؟»..

www.ibtesama.com

فأجاب : لا أدرى يا خالى..

– لا تدرى!

– لقد سألنى عما إذا كانت السيارة الزرقاء الواقفة أمام الفندق تخصنى وعن مدى صلاحيتها لاجتياز الصحراء.. فلما أجبته بأنها ملكى، وأن مصانعنا بأسيوط تنتجها بالفعل خصيصًا لاجتياز رمال الصحراء، وأنها تسمى لذلك «سيارة الرمال».. تهلل وجهه.. وقال إذن ستسمح لى ولخالك بمرافقتك فى السفر لبضع ساعات فى مهمة من أجلى.. فلما صمت محرجًا، أسرع يطلب منى ضرورة الموافقة قائلاً إن فى ذلك كشفًا للمزيد من أسرارى التى لابد ينشدها .. وهكذا اتفقنا..

همست: وياله من اتفاق!!

فى حين تحركت عناصر القلق داخلى «ترى أى مغامرة جديدة سنخوض.. وأى مفاجآت ليست فى الحسبان سنكتشف؟»..

* * *

www.ibtesama.com

٨

حين هبطت من حجرتى، أسرع إلىَّ حارس مدخل الفندق الرئيسى ليخبرنى بأن زميلىّ ينتظراننى فى السيارة منذ دقائق..

وهكذا ما أن حييتهما وأخذت جلستى حتى انطلقت بنا سيارة الرمال زرقاء اللون بكل قوتها فى اتجاه الصحراء..

كان عبد الله هو الذى يقود سيارته.. وإلى جواره جلس ابن النجوم.. فى حين جاءت جلستى فى الخلف فيما بعد الاثنين، وحتى أراقب الطريق مثلهما..

تمتم عبدالله دون أن يلتفت إلى الوراء.. وكان يقصدنى..

– هل قرأت الجرائد يا خالى؟

– لا .. خيرًا..

ظل عبدالله مركزًا نظراته للأمام لقد أعلن وزير البحث العلمى عن رصد رادارات الدفاع الجوى.. لسقوط حجر نيزكى بمنطقة شرقى الواحات منذ خمسة أيام.. وأن علماء ومسئولى القوات الجوية سيشرعون فى البحث عنه..

أسرعت أعلن قلقى فى أذن ابن النجوم الذى كان يعطينى ظهره..

– إذن سيكتشفون مركبتك..

استدارت إلىَّ ابتسامته وأحاطنى هدوءه..

www.ibtesama.com

– اطمئن يا دكتور.. المركبة مغطاة بستار موجى يخفيها عن الأعين كما لو غطتها أشجار غابة كثيفة..

لكن عبدالله لم تعجبه ثقة الكائن المفرطة: رادارات الدفاع الجوى قوية..

يمكنها العثور على أى جسم قبل أن يراه الباحثون عنه.. لم يتخل ابن النجوم عن هدوئه ولا فارقته ابتسامته..

– بل الستار الموجى اكتشاف علمى توصلنا إليه قديمًا.. وقد سبق أن جربناه خلال رحلات لكواكب عدة منها كوكبكم..

وجدت فرصتى لأستغل مشاعر الزهو والثقة التى تحط على ابن النجوم.. أدنيت رأسى من كتفه.. قلت فى نعومة:

–لنفترض أن مركبتك كشفت.. وأن جيشًا لنا قد أقبل، وأسلحة أحاطت.. ولن تقدر على الهرب.. فماذا تفعل؟

فكر مليًا، ثم أجاب فى اقتضاب : لن يحدث..

هززت كتفه من الخلف، فانكشف عنقه ليلفت نظرى ثانية لونه المخضر..

– نفترض أنه حدث..

ازداد تفكيره.. حتى شرد ببصره عبر نافذة عن يمينه.. قال فى تؤدة:

– أعرف أن كل ما تريده هو أن تصل إلى معرفة السلاح الذى سأستخدم.. صدقنى يا دكتور.. نحن لا نستخدم أية أسلحة فتاكة.. لا على المركبة ولا بأنحاء كوكبنا.. أو بالجزر السابحة فى جوه..

www.ibtesama.com

اعترضت: وفى ساعة الخطر؟

– سرعتنا الفائقة.. وعلمنا المتقدم.. وأيضًا ذكاؤنا المتقد.. تلك هى أسلحتنا.. وفى الجعبة أسلحة مسالمة كثيرة..

وعاد ابن النجوم يغرق فى ثقته وكبريائه من جديد..

كنا قد بلغنا موقع المركبة الكونية حيث اصطدمت ومالت لأجدها الآن قد استقامت معتدلة على قوائم مدببة.. وكأنها توشك على الانطلاق إلى عمق الكون.. اضطررنا إلى قطع الحديث الذى أحسست أنه لم ينته.. إنما فقط بدأ .. ولعله سيمتد إلى ساعات..

وبينما كان ابن النجوم يغادر السيارة سأله عبدالله فجأة:

– لم تقل لى كيف وجدت قطع الغيار؟

أجاب الكائن وهو يبتعد: آه إنها دقيقة ومطابقة.. شكرًا على إتقانها..

وفى حين ظللت وعبدالله جالسين بالسيارة التى يحيطها وهج الشمس ولهيب الصحراء.. رأينا ابن النجوم يصعد إلى جوف مركبته.. عندئذ استولى على عبدالله مرأى المركبة، وراح يتنقل بعينيه المذهولتين على كل جزء فيها.. أما أنا فقد استحوذ علىَّ وجه عبدالله الذى تحول إلى مسرح عريض يضيق بالانفعالات..

لكن ابن النجوم عجل بالعودة.. وقد اصطحب معه واحدًا من أتباعه الآليين يحمل صندوقًا عريضًا.. ومن حرص الآلى على إمساك الصندوق خمنت أن به شيئًا أو أشياء ثمينة.. إلا أن الآلى المرافق وضع صندوقه فوق مقعد السيارة بجوارى.. ثم تشبث به واعتلاه بخفة، وقبع فوقه كاشفًا عن ضآلة حجمه..

www.ibtesama.com

– فلنبدأ رحلتنا الآن.. سيرًا فى هذا الاتجاه..

وأشار ابن النجوم إلى عمق الصحراء غربًا.. ثم جلس على مقعده.. ومد ساقيه.. وأراح ظهره..

* * *

كباحث ومفكر ينقب دون كلل فى مجالات تخصصه وأحيانًا بعيدًا عن هذا التخصص.. فإن أكثر ما يعذبنى تلكؤ المعلومة وتأخرها علىَّ.. فصبرى عندئذ ينفد سريعًا.. وأُصبح نهبًا للقلق وعدم الرضا.. وقد أقدر طويلاً على عطش أو جوع أو أرق.. وأتحمل ألم البدن كثيرًا.. لكنى لا أقوى لحظة على حاجة الذهن.. فأنا أمام قداسة المعرفة طفل رضيع لا يسكته غير الارتواء حتى الشبع.. بل التخمة..

هكذا عجلت فى الكلام بلهفة بمجرد انطلاق السيارة.. وقد أيقظت جميع حواسى مركزًا إياها باتجاه جانب وجه الكائن.. وبالذات فمه:

– لنعد إلى حديثنا قبل توقفك عند مركبتك.. أرجوك.. عرفنا أكثر بسكان كوكبكم.

يبدو أن جلسة ابن النجوم فى نطاق السيارة معنا .. قد هيأته منذ البداية للإفاضة فى الكلام.. بعد طول صمت وكمون خلال الرحلة من كوكبه إلى الأرض.. وإزاء ما انتهجه من التزام بتجنب مخالطة البشر.. فقد انساب صوته على سجيته ليملأ فضاء السيارة المحدود.. وكأنه صوت ذو أبعاد متعددة يأتينا من جميع الزوايا:

– الحضارة فى ربوع كوكبنا يرجع نموها إلى ما يزيد على مليون عام مضت.. مع ملاحظة أن العام لدينا يقل زمنًا عن عامكم بخمسة عشر يومًا..

www.ibtesama.com

فسَّر عبد الله بالأرقام: أى أن مقداره.. ثلاثمائة وخمسون يومًا..

– أيضًا هناك اختلافات بين كوكبينا.. فى نسبة الماء إلى اليابسة وتركيب الماء ومكونات الهواء.. وفى درجات الحرارة ونوات العواصف والأعاصير.. وكذا فى أنواع الحيوان والنبات وتراكيب المعادن.. إلى آخر ما قد يوجد من اختلاف بين جرم سماوى وآخر.. دون أن يشكل هذا فروقًا جوهرية..

صمت لثوان.. راح يتأمل ذرات الرمال وهى تتقاذف حولنا من اندفاع السيارة فوقها.. بعدئذ تابع حديثه وقد تحولت قسماته إلى الشحوب والأسى:

– ثمة فارق واحد خطير.. لأقصى حد..

أحسسنا بمدى الألم فى نبرات صوت الكائن.. فلم نقو على الكلام، بينما انطلق يردد وكأنه نسى وجودنا.. هل كان يُنَفِّس عن تمزقه ويأسه..

– أعرفتم ما هو الفارق؟ إنه الحروب.. نعم الأتون الذى يستغرقكم ويستنزف مواردكم ويجمد مسيرتكم.. فالذى تشيدونه فى أعوام تدمرونه فى ساعات.. أو قولا إنه ذكاؤكم الملوث.. معذرة.. فليس ما تحويه عقولكم من ذكاء لماح بالصحو المصفى.. حقيقى.. حتى أننا نسمى كوكبكم من قديم بـ«كوكب التقاتل»..

هزتنى كلمات ابن النجوم فرحت أتأمل معناها..

www.ibtesama.com

– ذكاء لوثه طمع الإنسان وحقده وطموحاته الزائفة.. وذكاء آخر فوق أنه مصفى ابتعد به أصحابه عن الشرور.. فاستخدموه فيما يفيد..

بينما استرسل الكائن القادم من الكوكب آميتون: ألا يعطى الذكاء الطاقة للإبداع والخلق.. ألا يميز كائنات عن غيرها.. فبماذا تصف ذكاء يصنع أدوات التدمير والإفناء والإبادة الشاملة.. ثم يستمرئ استخدامه لهذه الأدوات.. بل ويتفنن فى تطويرها ومضاعفة قواها التدميرية دون أدنى مسئولية أو إحساس بالذنب.. بم تصفه إلا أن يكون ذكاء ملوثًا؟

تخابثت: وأنتم.. ألم يتلوث ذكاؤكم فى أى من مراحل تحضركم؟

أفلتت الصيحة من عمق صدره: إطلاقًا.. لا يفكر الواحد منا فى أخذ ما لا يخصه.. فلم نعرف التنازع ولا التعدى ولا التقاتل.. لا لا.. لا شىء فظيعًا من هذا بالمرة..

– أنتم جميعًا على ثراءٍ إذن.. الخيرات لا بد على كوكبكم لا تعد ولا تحصى!

– إذا نظرنا لاستغلال ثروات الكوكب فهذا يتم حقيقة بأكثر مما هو حادث لديكم.. أما فيما يختص بالوفرة فكوكبكم أكثر غنى وثراء من كوكبنا..

قالها وصمت.. امتد الصمت بيننا لدقائق.. حتى اضطر عبد الله أن يحول رأسه عن الطريق ليسأل فى اهتمام: لم تقل لنا ما

www.ibtesama.com

هى ترتيبات إعداد الملاح الكونى لديكم.. وبالذات للقاء كائنات من كوكب آخر.

فى حالة سفر ملاحين من عندنا إلى كوكب مأهول بالكائنات الذكية يختلف الأمر عما لو كان السفر إلى كائنات غير ذكية..

عمومًا تسبق الانطلاق بزمن كاف دراسة ظروف الكوكب المسافر إليه ومدى تحضره.. وعلى ضوء تعليمات العقول المفكرة يتم إعداد مسار الرحلة بكل كبيرة وصغيرة فيها..

سألت: هل تصيب دائمًا توقعات عقولكم المفكرة؟

قال الكائن: غالبًا .. وبنسبة تصل ثمانية وتسعين فى المائة..

عاد يوجه كلامه لعبد الله: ثم إن ملاحينا يُختارون حسب مواصفات جسدية وعصبية مميزة متفوقة.. كما يتزودون بجرعات دوائية معينة ويجتازون تدريبات شاقة؛ تفاديًا للوقوع تحت أى مؤثر خارجى ضار.. وكى لا تلحقهم عدوى سلوك عدوانى من أى نوع غريب عن كوكبنا!!

ضيقت الخناق عليه: ألم تتعرض شخصيًّا لاعتداء كائن أرضى؟

لم يجبنى على الفور.. قلب فى ذاكرته.. هز رأسه واستدار نصف استدارة..

– تود محاصرتى يا دكتور.. لكن هيهات.. لم يحدث الذى تذكره لا لى ولا لغيرى من كوكبنا.. مع ذلك لن أخفى عليك، فنحن

www.ibtesama.com

مطالبون بتجنب كائناتكم.. خشية غدرها!! والتعليمات بهذا الصدد صارمة لا تخترق عادة إلا عند الضرورة القصوى...

قاطعه عبدالله: إذن قد تجاوزت التعليمات من أجل صامولتك التالفة؟

– هذا حقيقى ففى حالة كهذه يُباح الاتصال بذوى التمكن العلمى والقدرة الفكرية والثقافية فقط.. مع تحاشى الأفراد العاديين قدر المستطاع..

صمت الكائن.. تشاغل بالنظر من نافذة السيارة.. إلا أنه عاد يتكلم:

– بقى أن أذكر معلومة هامة عنكم.. عن سلطان المادة لديكم.. فإن حبكم للمال يفوق كل ما عداه.. ونحن نعرف ذلك ونعيه تمامًا.. ومن ثم فأموالنا دائمًا وفيرة.. ننفقها عن بذخ؛ لنتقى شركم أو نحظى بحبكم..

فى هذه اللحظة تعالى أزيز رفيع متواصل.. اكتشفت بعد ثوان من الحيرة أن مصدره الكائن الآلى القابع فوق صندوقه على يسارى.. التفت عبد الله إليه بدوره: «أنت!!» وكان الحديث الذى دار قد أنسانا مشقة الطريق وطوله.. وما يحتوينا من حر وكتمة أنفاس داخل السيارة..

كما أنسانا وجود الآلى..

وأسرع ابن النجوم ينبهنا للسبب فى تعالى الأزيز:

– أجهزة الآلى التقطت ذبذبات المكان الذى نقصده..

www.ibtesama.com

أفاقتنى كلمات ابن النجوم هذه.. تُرى، كم من عشرات الكيلومترات الصحراوية الوعرة قطعنا؟ وكم من ساعات الزمن طوينا؟ هكذا تساءلت بينما أتطلع حولى فلا أرى على امتداد البصر غير الرمال.. تتفرش إلى ما لا نهاية.. ضاوية.. لافحة.. تحدق بنا من كل صوب..

– أى مكان تعنى؟

ثم ميزت على البعد عددًا من التلال الجيرية الواطئة، فأضفت: لم أعرف بعد وجهتنا.. ولا الغرض من هذه الرحلة المتعبة..

لكن ابن النجوم كان مشغولاً بمراقبة الطريق فى اهتمام كبير..

– دقائق ويتضح كل شىء.. فقط دعونى أتبين معالم الممر الأسمنتى.. وراح يمد عنقه بطوله ويتفرس فى تركيز أكثر حتى صاح: «ها هو»..

وأسرع يشير إلى طريق أسمنتى ضيق يفصل بين ارتفاعين من الرمال.. بدوا محمرين عما ألفته أعيننا من ألوان الصحراء المصفرة خلال الرحلة.

– ولتحاذر يا سيد عبد الله أن تخرج عن حدود الأسمنت.. فالرمال بامتداد الجانبين متحركة.. تبتلع ما يطؤها..

اجتاز ابن شقيقتى ممر الأسمنت بطول ثمانية كيلومترات فى مهارة ويسر كعهدى بقدراته المتعددة.. بلغنا فى نهايته حافة

www.ibtesama.com

هاوية متسعة الأرجاء.. تشبه واديًا مستطيلاً.. غائرًا.. تملأ قاعه وجانبيه عروق ضخمة من رخام زاهى الألوان..

قاد عبد الله السيارة هابطًا ببطء عبر حافة شديدة الانحدار حتى استقر بنا فى القاع.. عندئذ طلب ابن النجوم أن يتولى هو القيادة توفيرًا للوقت.. فلا بد من خبرة سابقة للمرور بين كتل الرخام وحوافه الحادة المسنونة المتشعبة التى تملأ الوادى.. وبالفعل أثبت الكائن مدى خبرته حين استطاع قيادة سيارة الرمال فى حذر واقتدار دون أن تصاب بأقل أذى.. الأمر الذى أظهر كذلك سابق خبرة بكل شبر فى المنطقة..

ألقيت استفسارًا: كأنك جئت هنا قبلاً؟

قال ببساطة: هذه المرة التاسعة..

- بالسيارة أيضًا؟

- فى السابق كنت أستقل حوامة هوائية.. مركباتنا تحمل دائمًا واحدة أو اثنتين من هذه الحوامات التى تندفع فوق وسائد من الهواء فيمكنها التنقل فوق مسطحات الرمال أو الزراعات أو حتى المياه والمستنقعات.. لكن هذه تعطلت لدى ارتطام المركبة بالتلة على أرضكم..

تساءل عبد الله: كأن كوكبكم به صحارى مثلما على الأرض؟

- تقصد أننا صنعنا الحوامة من أجل صحارينا.. هو كذلك بالفعل.. إلا أن الحوامة اختراع قديم.. كما أنه لم تعد لدينا صحارى الآن بعد أن حولناها كلها إلى أراضٍ زراعية..

www.ibtesama.com

أحسست بالغيرة: دون شك.. فمصادر الغذاء وفيرة على آميتون.

هز الكائن رأسه: كوكبنا جنة خضراء، هذه حقيقة.. أما عن الغذاء فالأمر ليس كما تتصور..

لكنه لم يُتم كلماته، فقد أوقف السيارة بغتة قبالة فتحة كهف من صنع الإنسان.. ولما قفز منها إلى الأرض كانت حاله قد تبدلت تمامًا.. فقد شمله نشاط مباغت وحيوية دافقة..

تأمل ابن النجوم فتحة الكهف فرحًا وكأنه فقد الأمل فى العثور عليها.. ثم استدار إلينا ليقول فى عاطفة جياشة: ها قد وصلنا..

أفقت على تلاحق الحركة حولى.. ابن النجوم يضىء بطاريته ويدلف إلى فتحة الكهف.. ويدلف فى أثره عبد الله ووراءه الآلى حاملاً صندوقه.. واضطررت إلى السير فى أثرهم إلى عمق الكهف حتى لا أبقى وحدى خارجه..

وقادنا الكائن عبر جدارين من الرخام والظلمة.. حتى وصلنا إلى رحبة متسعة لها قبة شاهقة.. وفى ركن تحتها كشف ابن النجوم بضوء بطاريته عن فتحة بئر..

– من هنا لتهبطا ورائى..

امتد هبوطه ونحن من ورائه لما يزيد على نصف الساعة.. عبر ظلام رطبه الهواء.. وقد استطالت أجسادنا ومالت من وراء الضوء

www.ibtesama.com

الوحيد الباهت الذى ترسله بطارية الكائن.. وفى نهاية نحو مائة درجة توقفنا لدى باب خشبى سميك.. عليه نقوش تصور ما يشبه رحلة فضائية عبر مجموعتين من النجوم أو مجرتين منفصلتين..

هتف ابن النجوم مشيرًا إلى النقوش وهو يظهرها ببطاريته..

– إنها تحكى قصة الجدات العشر اللاتى جئن من كوكبكم.. وأنقذن شعوب آميتون..

قالها وأدخل مسمارًا معدنيًّا فى شق صغير بالباب فانفرج عن آخره..

ودخلنا.. كانت قاعة متسعة تسبح تحت حزم من الأشعة الزرقاء الحانية، تتسلط من جميع الزوايا.. من ثنيات بالسقف، ومن فتحات تعلو الأرضية.. ومما يماثل بلورات مكعبة فى أحجام ثمرات البرتقال تبرز من الحوائط وتتدلى بالأركان.

بهرتنا الأضواء.. بدت تكوينًا أسطوريًّا غير مألوف فى عمق الصحراء وجفافها.. فلما استراحت أعيننا وتعودت الإضاءة.. تبينا مجموعة من التوابيت الخشبية تتصدر القاعة بأغطية تعلوها تشبه القباب.. وكانت الأغطية زجاجية.. ومن خلالها اتضح ما تبيناه أجسادًا محنطة.. مموهة المعالم.. فى حين أحاطت بالتوابيت عشرات المناضد المستطيلة، قد تراصت عليها آلاف من القوارير المخبرية الرفيعة.. مغلقة.. ومتراصة عموديًّا فى ترتيب محكم..

www.ibtesama.com

أومأ ابن النجوم أمامها.. بينما يتداعى صوته فى خشوع وتقديس عظيمين..

– ها نحن فى حضرة الحواءات.. المنقذات.. المبجلات.. اللاتى يرقدن فى عظمة وشموخ.. منذ آلاف السنين.. وحيث يبقين إلى أبد الدهر..

وانحنى فيما يشبه صلاة استغرقته فنسينَا.. ونسىَ نفسه.. فحسبه أن يقطع عرض السماء.. ويخترق سرعة الضوء ويطوى الزمن طيًّا.. ليكون فى حضرتهن أخيرًا.. وأحسست بالغربة.. فهل ما نراه ينتمى إلى بلدى «مصر» أم نحن على جرم آخر غير الأرض؟

وتبادلت وعبدالله نظرات صامتة حيرى عبر الإضاءة القوية..

فى حين راحت خلايا مخى تشتعل بالتفاعل والحركة.. والاحتجاج.. ترى ما كنه الذى يحدث منذ بدأت رحلة العجائب وحتى استقر بنا المقام فى عمق البئر.. مع أجساد من يدعوهن الكائن.. مرت بالجدات وأخرى بـ«الحواءات».. ما أصل ذلك؟ وما تفسيره؟

* * *

www.ibtesama.com

٩

اكتسى وجه ابن النجوم بالجمود.. وانقلبت تصرفاته عن الانتشاء والفرحة إلى الجدية الكاملة..

– لدى أعمال سأفرغ منها سريعًا.. فهل استرحتما هنا لدقائق؟

وأشار إلى بروز حجرى فى جانب القاعة.. ما إن جلسنا عليه حتى انطلق يزاول عددًا من الأعمال بدا أنه يقوم بأدائها حسب خطة رتبت من قبل..

فقد رأيناه يُجرى فحوصًا لمجموعة من أجهزة التحكم ملئت بأزرار ومحولات التشغيل وبعدادات القياس.. التى رجحنا أنها تخص السيطرة على جو القاعة ونشاطاتها عبر أزمنة لا بد أنها تمتد لسنوات طوال من السكون والصمت الأبديين.

ثم لفت الآلى نظرنا حين مد كلابتين وفتح الصندوق الذى كان يحمله أخيرًا.. لنجده يمتلئ بمزيد من القوارير المخبرية.. وهذه لقربها منا ميزناها تمتلئ بما يشبه الرماد الهش القوام..

مال عبد الله علىَّ وهمس فى أذنى: أتعرف يا خالى فى أى شىء أفكر؟.. إن المراقب لتصرفات الكائن وحركته على البعد.. لا يكاد يفرق بينه وبين أى بشرى منا!!

همست بدورى: حتى لو وجدت فروقًا يا بنى.. فالخامة كما ترى واحدة.. نفس الخلايا تغذيها الدماء بذات تكوين الخلق

www.ibtesama.com

ونظامه المعروف.. سبحان الله.. ومع ذلك فعبر الأكوان هناك كذلك فروق لا تعد ولا تحصى.. طالما وُجدت فروق بين البشرى وأخيه..

وبينما كنا نتهامس قام الآلى بنقل نحو ألف قارورة من صندوقه ووضعها برفق على سطح منضدة جديدة أضافها إلى مثيلاتها.. وما إن فرغ حتى تراجع وقبع إلى جوار باب القاعة.. فى حين استدار ابن النجوم والذى فرغ من مهامه على ما يبدو.. وهنا عادت ابتسامته تحتل وجهه.. وتقدم يقصدنا قائلاً فى مرح: لقد انتهت مأموريتى أخيرًا.. الغرض الذى عبرت من أجله رحلتى الكونية حتى وصلت كوكبكم قد تم أداؤه.. وأنا الآن مدين لكما بتفسير..

لم أقل شيئًا ولا تكلم عبد الله.. فقط كانت أعيننا تفصح عن مدى فضولنا.. عندئذ تقدم منا أكثر حتى واجهنا.. وقد بان عليه الجد والاهتمام، واتضح لنا وكأنما ازداد طولاً.. فى حين موهت الأضواء المسلطة وسامته ليبدو كذلك مخيفًا مسيطرًا.. يمتلك قدرات خارقة نتضاءل نحن إزاءها، وتتحول أدواتنا إلى مجرد الإنصات والدهشة.. والضياع فى بحور الحيرة..

لكنه بقى صامتًا.. يستدعى ذاكرته.. بينما يزداد إحساسنا بوطأة السكون المطبق.. بعد أن توغلنا مائة وخمسين كيلو مترًا فى قلب الصحراء.. وتعمقنا هبوطًا لخمسة وعشرين مترًا تحت سطح الأرض..

www.ibtesama.com

بغتة ومضت عينا الكائن ابن النجوم.. غيب يده فى جيب قميصه.. وأخرجها قابضة على مجموعة كروت..

– هاكم أولاً صورًا للحواءات (وناولنى الكروت) انظر يا دكتور، متع بصرك أنت وعبد الله من جمالهن.. فلن يمكنكما ذلك وهن ملفوفات فى دثارهن الأبدى بتوابيتهن.. متعا بصركما بينما أمتع سمعكما بما فعلن من أجل أبناء كوكبنا.. منذ ستمائة وخمسة آلاف عام أميتونى..

انكمش عبد الله على نفسه متحيرًا..

– تقصد .. الراقدات أمامنا هؤلاء؟! أى أن الحواءات مازلن على ثرى الأرض؟ فكيف تحقق لهن إنقاذ شعبكم.. ومم أنقذنه؟

أجاب فى هدوء: لقد أخذن إلى أميتون.. وبقين حتى أدين رسالتهن.. ثم قُمْنَا بعد وفاتهن بإعادتهن إلى منبتهن الأصلى.. لكن أرجوك.. دعنى أروى القصة من أولها..

هَمَّ الكائن أن يسترسل إلا أنه لحظ اللوحات فى يدى.. وكنت قد توقفت عن تفحصها لأستمع إلى الحوار..

وجه الكائن حديثه إلىَّ: رائعات.. مدهشات.. أليس كذلك؟

أسرعت أنكب على اللوحات من جديد.. وأنا أقلبها واحدة وراء الأخرى:

– هذه تبدو طويلة.. وقوية.. وهذه متناسقة فى تكوينها ومريحة الوجه.. وأخذت أعدد ما أقدر على إدراكه من محاسن..

www.ibtesama.com

لكننى أخفيت عليه أنهن بدائيات.. ويظهرن كفلاحات، أو هن غجريات..

أما اللوحة الأخيرة فقد علقت عليها بينما أتأملها فى عجلة:

– وهذه تشبه الفتاة.. راعية الغنم!

من غير قصد أيقظت شيئًا فى صدر ابن النجوم.. إذ شردت عيناه.. وانسحب بهما بعيدًا عنا لثوان.. لكنه سرعان ما استرد حضوره.. ومن ثم راح يلم أشتاته فى إصرار وأنفة..

– هه.. نتكلم عن تاريخ الحواءات الأرضيات على ثرى آميتون..

خلال هذه الكلمات تحرك.. وأعطانا ظهره.. ابتعد خطوتين مشبكًا يديه خلفه.. إلا أن صوته ظل معنا.. قبالة آذاننا إن لم يكن بداخلها..

– لا أحد على آميتون لديه الخبر اليقين.. لا المعمرين ولا الثقات ولا المتخصصين.. وتاريخنا لم يسجل كيف وقعت البداية.. ولا أين.. إنما كل الذى نعيه أن مرضًا سببه فيروس ما.. اجتاح الإناث من أبناء آميتون فى الزمن القديم.. منذ ستمائة وأربعة آلاف عام.. وخلال شهور قليلة لم تتعد العام أمسى النساء جميعًا عاقرات لا يلدن..

استدار ابن النجوم إلينا بوجه حاد وقسمات متنمرة.. مخيفة:

www.ibtesama.com

– تصور يا دكتور نجاتى.. تصورا.. أنثى واحدة لم تنج من بلواه.. تصورا.. أى فزع وأى هول ذلك الذى حط على كوكبنا سريعًا فلم يترك لنا فرصة لالتقاط الأنفاس..

تأثر عبد الله فضاقت عيناه: ألهذه الدرجة فشلتم فى وقف الوباء؟

– جميع السبل التى طرقها علماؤنا وصلت إلى طريق مسدود.. بل امتد التخبط مدة ستة عشر عامًا من الجدب التام فى الذرية..

حاولت أن أسبق الأحداث: حتى نبتت فكرة أن تستعينوا بكائنات مؤنثة.. من كوكب آخر..

– كانت نظرية لعالم طبيعة شاب لم ينتبه إليها أحد قبله.. أن نجلب إناثًا منجبات من الأقاصى البعيدة.. وبعد بحث وفحص ودراسة استقرت الآراء على أن أقرب الكائنات الأنثوية إلينا وأصلحها فى الاستجابة الجنسية معنا.. هى أنثيات الأرض من البشر..

صمت قليلاً يسترجع ذكريات ما قرأه وحفظه جيدًا.. ثم تابع..

– وجلبنا الحواءات الأرضيات العشر إلى آميتون بواسطة أسطول فضائى من عشر مركبات كونية.. كل مركبة حملت حواء واحدة كى نضمن وصول أكبر عدد منهن سالمات..

عقب عبد الله: لكن المركبات العشر سلمت.. وبذا سلمت حواءاتنا جميعًا..

www.ibtesama.com

– تمامًا.. وخلال مهرجانات امتدت لعامين كاملين عمت الكوكب بأسره، جرى تزويج الحواءات العشر لعشرة من خيرة شبابنا وأكثرهم صحة وفتوة.. كما أنجبت كل حواء طفلها الأول، ثم تتالت عمليات الإنجاب وتكررت.. وعقدت زيجات جديدة بين الأبناء.. وزيجات بين الأحفاد وأبناء الأحفاد وهكذا.. وقرابة انتهاء ستة وستين عامًا اكتشف كذلك علاجًا فعَّالا للوباء الأصلى.. وانتهت المحنة إلى غير رجعة..

وكف ابن النجوم عن الكلام وإن لم يكف عن الحماس الذى ما يزال يظهر فى لمعان عينيه وارتجافة وجهه ووجيب أنفاسه..

تساءلت: بقيت قصة عودة الحواءات إلى الأرض؟

لكن عبد الله اعترض: لا يا خالى.. لا بد أن نعرف أولاً.. عما إذا كانت بين الحواءات واحدة مصرية؟

ضحكت: أنت أيضًا تبحث عن جذر لك عبر الكون!

ردد عبد الله حالمًا: ليته يتحقق..

عندئذ أكد ابن النجوم: تاريخنا يذكر أن الحواءات كن جميعًا من منطقة الشرق الأوسط.. وأن اثنتين منهن أخذتا من مصر..

وأشار إلى التابوتين بأقصى اليمين وكان يعنى المحتويين على المصريتين..

قلت وأنا أتأمل مليًا.. بينما أنطلق بخواطرى كالصاروخ من الأرض إلى كوكب لا أعرفه قصىٍّ. يُدعى آميتون.. فألمسه..

www.ibtesama.com

وأضمه.. بيدى المهتزة من فرط الانفعال.. بينما يدى الأخرى ما تزال ضامة الأرض.. التى عليها ولدت.. ومن ضرعها ارتويت.. حتى كبرت.. ومن ثم أروح أجاهد بكل ما لدى من قوى فى تقريب الكوكبين وضمهما فى حنان إلى صدرى:

«طالما فكرت طويلاً وآمنت على امتداد تفكيرى بوحدة الكون.. فالخالق إله واحد أحد.. وعليه فالتشابه والتواصل والتفاهم بين كائنات الكون وكائنات الله موجود.. فى عمق الزمن.. سواء عرفنا ذلك وتيقناه بالأمس.. أو غدًا أو عبر الأزل..».

وألقيت بصرى على ابن النجوم.. احتويته بعينين ودودتين تحاولان رؤيته بفهم عميق مختلف.. وقلت من قلبى:

– لن أدهش لو أخبرتنا بأنك حفيد لحواء مصرية.. وأنك تَمُتُّ لنا بصلة قرابة.. ارتسمت البراءة بطول وجهه: وهل أنكر انتمائى؟

شجعنى أن أطرح سؤالاً لا أنتظر الرد عليه:

– ترى، فمن أى أصول وأى نوعية من البشر البدائيين كانت الحواء التى أخذتموها من ربوعنا من أكثر من نصف مليون عام؟ إن قرابة كهذه تتعلق بالمكان.. بالمنبت.. ولا أظنها تتعلق بالعرق.

ربت عبد الله على كتفى: ولكنك قلتها فى أول كلامك يا خالى.. فهى الصلة الإلهية قبلاً وبعدًا.. فنحن جميعًا مخلوقات الله..

أفحمنى عبد الله فأردت أن أغير الحديث:

www.ibtesama.com

– لنعد إلى مجيء أو عودة الحواءات لمصر..

قال الكائن: كما قلت فقد قدسهن شعبنا.. وبالغ فى تكريمهن.. وكانت ذروة التكريم أن تدفن كل من تموت منهن على ثرى ذات الكوكب الذى أتت منه.. على الأرض..

عدت أسأل: والقوارير التى تتخم بها المناضد.. أتحوى نوعًا من القرابين؟

رمقنى محتجًا: ليست قرابين.. إنها بقايا رفات أحرقت.. كلها تحوى رمادًا لمحبين سعداء الحظ من أبناء آميتون..

وقف عبد الله على قدميه: تقصد أنك جئت برماد المتبركين ليدفنوا إلى جوار الحواءات المقدسات؟

– أجل .. حسب نظام يتم بأسبقية الحجز.. ترحل مركباتنا بمجموعة من هذه الرفات.. وفى رحلتنا هذه جئت بالمزيد منها وفى إحدى القارورات رماد عم لى.. وجملة القول.. فجلب القوارير والكشف على أجهزة الموقع هما كل مهمتى الحالية..

تمتم عبد الله ساخرًا: موضوع القوارير يشبه ما يحدث فى قرانا.. حين يتبركون بدفن موتاهم إلى جوار أوليائهم ومشايخهم..

لم يعلق ابن النجوم على ملاحظة عبد الله.. ربما لم يفهمها.. إنما قال:

– أرى أننا فى حاجة للاغتسال.. والأهم أن نروى ظمأنا..

www.ibtesama.com

وتقدمنا يعبر نفقًا جانبيًّا.. ولحقنا به.. ليصل إلى آذاننا بعد توغلنا فى النفق صوت لخرير مياه متدفقة.. أخذ يتعالى حتى أشرفنا على ما يماثل قاع البئر.. وكان ضوء النهار الطبيعى يغمره.. فى حين ينبثق اندفاع لمياه تتلألأ من شق غائر فى قلب الصخر.. وتصنع المياه المندفعة جدولاً رقراقًا يسرع هابطًا إلى الطرف الآخر فى هيئة شلال صغير.. يعجل بدوره فى التوارى داخل شق آخر واطئ مظلم.. تبعد فتحته عن المنبع بقرابة عشرة أمتار..

تناول الكائن كوبًا بلوريًّا من دولاب مواجه: الماء جوفى.. معدنى.. يمكن شربه..

وبينما كان يملأ كوبه رفع رأسه لأعلى.. إلى مصدر الضوء.. وتتبعنا تجاه بصره..

قال: هذه اللحظة.. وقت تعامدت أشعة شمسكم على جوف البئر.. كما تريان.. فالبئر مكشوفة من أعلاها.. فتحة طبيعية بعمق الدرجات التى هبطناها من بئر أخرى.. أما الأشعة فتتعامد مدة إحدى وعشرين دقيقة يوميًّا.. وتستمر الظاهرة ثلاثين يومًا فى العام.. تتدرج فى البداية خلال تسعة أيام وفى النهاية خلال تسعة أخرى..

قلت مستحسنًا: لعبة رياضية فى حساب الزمن والمسافات.. أتقنها فراعنة مصر فى معابدهم القديمة.. وأبرزها معبد أبى سمبل..

www.ibtesama.com

اغتسلت وعبد الله بالماء البارد فانتعشنا.. وشربنا فارتوينا.. فلما عدنا إلى قاعة الحواءات وجدنا ابن النجوم وتابعه الآلى فى انتظارنا..

– كيف وجدتما المياه؟

أجاب عبد الله: مستساغة .. أنعشتنى..

فى حين قلت أنا: تشبه إلى حد كبير مياه عين حلوان..

قال الكائن وهو يحمل بعض الأدوات للآلى: بل تزيد على مياه عين حلوان باحتوائها معادن منشطة يندر وجودها على الأرض.. وستعينكم على صعود السلمات بنشاط أكثر.. فقد أزفت العودة الآن..

وكنت لم أنس ما كابدناه فى الهبوط... ومن ثم توقعت عناء مضاعفًا لدى الصعود.. إلا أننا اجتزناه بقدر أقل من المشقة..

احتوتنا أخيرًا سيارة عبد الله .. وأثناء العودة، غلب علينا التعب وحرارة الجو فملنا إلى الصمت.. ولم نتبادل غير كلمات قلائل حول موضوع الحواءات.. وكيفية اختيار مكان رقدتهن المقدسة الأبدية..

وطوال رحلة العودة لم تحدث مفاجآت جديدة غير قول ابن النجوم المباغت ونحن نوشك على الوصول إلى قرية النجع.. حين وجه كلماته إلى عبد الله فى نعومة حوت تحذيرًا مباشرًا: «إن ما يفكر فيه منذ تحركت السيارة أمر لن يمكن تحقيقه.. فكافة المعالم والمؤشرات والعلامات سوف تنمحى كلية من ذاكرته

www.ibtesama.com

وذاكرتى! خضوعًا لذبذبات نظام إلكترونى يسيطر على المنطقة بأسرها.. وذلك خلال ساعتى زمن ما لم تزود بمانع لهذه الذبذبات وهو ما لم يحدث.. وإننا مهما حاولنا استعادة أية تفاصيل أو معالم فيما بعد.. فلن نوفق أبدًا»..

وكاد عبد الله أن يوقف السيارة من فرط دهشته.. فلما سألته بعد وصولنا عما دار بفكره وقتئذ، قال لى مبهورًا متحيرًا:

– لقد قرأ أفكارى بالفعل.. فقد كنت أتساءل: هل أستطيع يومًا العودة إلى مكان الحواءات؟!!

* * *

منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي

www.ibtesama.com

١٠

حين بلغنا فندق النخيل بعد عودتنا من الرحلة المضنية إلى مقر الحواءات.. كانت شمس اليوم قد غربت واختفت وراء الأفق..

فأسرعت وعبد الله إلى تناول وجبة شهية متخمة.. فى حين أصر ابن النجوم على تركنا رغم إلحاحى عليه أن يشاركنا غداءنا.. حيث أعلن انشغاله فى إعداد الترتيبات النهائية للإقلاع.. وبدء رحلة العودة إلى الكوكب آميتون..

وانتهينا من طعامنا بسرعة لنتوجه إلى حجراتنا على الفور.. وكانت ساعة الفندق تدق الثامنة مساء حينما أغلق كل منا بابه عليه..

وخلال دقائق معدودات قدرت أن ابن شقيقتى قد طواه الآن نوم عميق.. فى حين أنى رغم إحساسى بالإرهاق ورغم ثقل جفونى واحتواء فراشى لجسدى المنهك قد وجدت النعاس يهرب منى.. وصارت أحاسيسى إلى نوع من التوتر.. والتفكير الملح المتضارب..

هل صحيح أن تلك الأحداث التى وقعت منذ ظهور ابن النجوم.. وتلاحقت كما فى شريط بالغ الإثارة متفجر الإيقاع.. هل صحيح أن ما حدث قد حدث فعلاً ولم يكن دوامة حلم كبير؟ لم يكن مجرد أمنيات مستحيلة ما زلت أعيشها فى خيالى وإنها لم تحدث على الإطلاق؟! .. وما لقائى بابن النجوم.. وتابعه الآلى.. ومجىء عبد الله .. وحتى الرحلة بكل غرابتها وانتهاء بحواءاتها.. فإن

www.ibtesama.com

ذلك جميعه.. جميعه لم يكن إلا وهمًا .. جسَّمته انشغالاتى بهذا الأمر ونظرياتى وأفكارى التى ليس لها وجود إلا فى رأسى..

أيقنت باستحالة حصولى على النوم، فتركت الفراش وارتديت دثارًا فوق منامتى.. وخرجت إلى الشرفة لأنزوى على مقعد فيها.. فأحاطتنى ظلمة تؤنسها أضواء الحديقة تحتى.. وهبت على نسمات صحراوية تحمل برودة ليلها القارى..

ومع أن العتمة كانت فى بدايتها فإن الحديقة اكتظت بروادها من نزلاء الفندق.. راحوا يلتصقون بالمناضد الدائرية ويتناولون الشاى والمرطبات، ودفقات المرح الصادرة من القلب ولم أكد أفسر جوانب المنظر الذى أطل عليه حتى عزفت موسيقى راقصة لأتبين أن اليوم هو الأحد.. حيث يقام أسبوعيًّا حفل تقليدى للرقص الغربى.. وربما زادوا عليه ببعض الغناء كما يفعلون فى آحاد دون أخرى..

لكننى رغم المشاهد التى تؤذن بليلة صاخبة.. والتى احتوت على أكثر من مفاجأة وأكثر من متعة بريئة.. وحفلت بالرشاقة والأناقة.. وغالبًا ما تنتهى بتعارفات مميزة..

رغم فرص المرح هذه فقد كنت فى واد.. وجمهور الفندق ومن ورائه النجع وربما العالم كله فى واد آخر..

وفى هدوء حاولت أن أجمع شتات سؤال، وأن أبلوره وأجلوه.. إلى أن حفرته عميقًا فى رأسى.. ثم رحت أتأمله.. وأحاوره:

«أحقًّا قدم المسمى نفسه ابن النجوم من جرم بعيد يموج بالذكاء.. والتحضر؟ وأننى قابلته وتجاذبت وإياه أحاديث حية.. دارت بيننا..

www.ibtesama.com

وكشفت عن خبيئته وعن قفزات رقى مهولة لعنصر هذا الكائن الوافد من الأقاصى؟».

لكن إذا كان لقائى بابن النجوم أكذوبة أنا مصدرها وأنا ضحيتها الوحيدة.. فهل علوم الفلك بتطورها وحقائقها والكشوفات المذهلة التى تحققت عبر ربع القرن الأخير هى أكاذيب كذلك؟ هل مواد الحياة وعناصرها المختلفة التى حصلنا عليها وثبت يقينًا أن الكون يزخر بها.. أهى مجرد خرافات وأوهام؟.. وأن مجموعات الكواكب السيارة التى توالى كشفنا لها مجموعات نجمية تماثل مجموعتنا الشمسية.. أهى الأخرى بهتان فى بهتان؟

ثم .. أعود ثانية للكائن نفسه؛ ابن النجوم. أجل أعود ثانية وثالثة وإلى ما شاء الله ما دام قد سعى إلينا بمركبته وآليه وأدواته وعلمه.. وبقصة كوكبه آميتون ومشهد حواءاته العجيبات. . أعود إلى هذه الحقائق.. مستحيل أن أرفض وجودها مع يقينى منها.. واشتعلت أعماقى بالثورة والتحدى فرددت: «فإذا تحقق عقلى وبصيرتى من نتائج أبحاثى وجهد علماء عصرى.. وتأكدت حواسى وأحاسيسى من حدوث معجزة اللقاء مع كائن من كوكب غير كوكبى.. فما الذى ينبغى لإثبات تفوقى واسترداد مكانتى؟

ما الذى يمنعنى من الصياح فى وجه من وصمونى بالكذب ورفضوا أفكارى من علماء بلدى والعالم.. بأننى وحدى.. والقلة

www.ibtesama.com

المحدودة معى.. الذين كنا على صواب.. فى حين أن الستة والنصف مليار بشرى- وهم تعداد العالم الآن - كانوا على خطأ وضلال مبين»..

من المحتم عندئذ أن أصمم على استرداد مكانتى وهيبتى.. أليس كذلك؟

* * *

توجهت إلى عنوان الشقة المفروشة التى يقطنها ابن النجوم كما سبق أن أخبرنى به من قبل فقد أصبح الأمر لا يحتمل تأخيرًا.. ووجدت العنوان يقع فى الجهة الشرقية من القرية.. كانت الشقة تكاد تشرف على الحى الريفى وعلى دوران ترعة الشراقوة التى تروى زراعات الأهالى القليلة المتناثرة شرقًا وجنوبًا.. ويقوم أغلبها على الذرة والبرسيم وبعض أنواع الخضر التى تنمو فى صوبات البلاستيك..

وهش الكائن حين فتح الباب ووجدنى فهذه أول مرة أقصد بيته.. لكنه تهلل.. وتراجع يفسح لى .. «أهلاً.. تفضل يا دكتور»..

دخلت .. لأجدها شقة عادية.. بلا أى أدوات متطورة تخصه.. فهل يضع الأجهزة التى جلبها معه فى حجرة نومه.. هل يخفيها فى أعماق دواليبها؟ لمحت بالفعل مجموعة من الصناديق الورقية وراء باب موارب.. تجاهلتها وجلست أعطيها ظهرى..

- حضورك.. بادرة أعتز بها، وقدم لى زجاجة مشروب غازى.. قلت وأنا أتأمل ذوقه فى تنسيق مجموعة أوراق ملونة زيَّن بها حائطًا مواجهًا:

www.ibtesama.com

– فى الحقيقة .. هناك أمور أردت أن نناقشها على انفراد..

– لا بأس.. نتكلم.. بينما أتناول حمامى سريعًا..

ودخل إلى الحمام تاركًا بابه مواربًا..

صوبت وجهى تجاه حمامه وأطلقت لحنجرتى العنان حتى يسمعنى:

– أريد أن أعقد معك صفقة..

تعالى صوته من بين انهمار مياه الدش:

– دعنى أخمن يا دكتور.. تريد أن تضمن لى الحماية والسلامة وحرية الحركة.. نظير أن أوافق على الظهور معك فى مقار البحث.. ومحافل العلم لديكم.. كى يتفحصونى ويجروا على تجاربهم فى حضورك.. وتحت إشرافك؟

أسقط فى يدى.. فقد عرف كعادته ما فكرت فيه: هو عين ما قصدته.. وقد نسيت قراءتك أفكارى..

إلا أن صوته جاء رغم هدوئه حاسمًا قاطعًا:

– آسف يا سيدى.. لا أوافق إطلاقًا!

ارتبكت: لتأخذ علىَّ كافة الضمانات التى تريد.. و ... وارتفع صوته يقاطعنى فى ترفق وأدب:

– بالطبع لا أقصدك أنت يا دكتور.. لقد عرفتك بما فيه الكفاية.. إلا أننى فى ذات الوقت أعرف الكثير عن طباع وأخلاقيات وتصرفات غيرك من البشر.. سكان كوكبك!!!

www.ibtesama.com

– أقسم.. ستكون فى حمايتى أنا..

أنهى حمامه وأقبل مرتديًا ملابسه.. واجهنى وهو يجفف شعره.. وقد ازداد لمعان بشرته بالاخضرار عند عنقه وإلى ما وراء أذنيه وحول سوالفه..

قلت فى نفسى: «هذا اللون إياه» فى حين أطلق كلماته واثقًا:

– أتعطينى ما لا تملكه أصلاً؟ لا لن يمكنك.. فمثلك مثل أى عالم فى أى من بلدان دنياك.. لا حيلة لك أمام جبروت قوى أخرى متعددة.. لها مصالحها، ولها رؤاها الخاصة بها.. تلك التى لا تتفق مع قيمك..

حاولت الاعتراض بكل ما فىّ من صدق وتحمس:

– لكنك حالة فريدة.. وضع يختلف تمامًا عن أى وضع لمواقف عرفتها البشرية طوال تاريخها.. إنه لقاء فوق التاريخ ذاته وفوق كافة الاعتبارات.. ذلك الذى يتم بينك وبينى الآن..

تفحصنى طويلاً.. قبل أن يستدير إلى الحمام ليترك المنشفة ويعود:

– دكتور نجاتى!.. فى كوكبنا المسئول منا عن قيادة من القيادات متى شابت قريب له حتى الدرجة السادسة أقل شبهة.. فإنه يذهب من فوره إلى الرئاسة العليا ويعلن تنحيه عن منصبه.. ويقبل طلبه من فوره.. فهل تفعلون ذلك لديكم؟

– أحيانًا يحدث ذلك..

www.ibtesama.com

– بل نادرًا.. والذى أذكره مجرد مثال لسلوكيات عادية على أرضكم.. فهل آمن أنا على نفسى مع أناس تقوم مكاسبهم على الغش والخداع والتزوير.. والكثير مما يندرج تحت بنود الريبة وعدم النظافة والوضوح؟! إن لدينا مثلا يقول «إن الثوب الأبيض تعيبه أقل بقعة سوداء»..

بدا لى أنه يسرف فى إبداء مخاوف لا داعى لها..

– إننا سنرحب بك.. ونكرم فى شخصك كائنات جديدة نتعرف عليها لأول مرة.. ونشاركها الود والتفاهم عبر مسافات الكون القصية.. من ذا الذى يرفض يدًا ممدودة له عبر محيط العزلة واللانهائية فى هذا الكون..

هز رأسه فى حزن.. وخُيل إلىَّ أنه رمانى بنظرة إشفاق كذلك..

– قد يصدقك من لا يعرف ما أعرف.. فنحن على آميتون نمتلك أدق التفاصيل عن أعمال ومواقف لا أخلاقية لأفرادكم ودولكم.. طالما أصابتنا بالذهول..

تقدم وجلس إلى جوارى.. ووضع أصابع حانية على كتفى..

– أنت يا صديقى مشغول فى مجالك العلمى.. وبابك مغلق عليك وعلى أبحاثك.. فهل بلغك ما تجريه الدول العظمى والأقل عظمة على شعوب دول أخرى فقيرة أو متخلفة.. من تجارب تحرمها أى شريعة سماوية؟

ثم أشاح بوجهه على غير هدف.. تنهد بعمق صدره.. واجهنى.. حين واجهنى ثانية كانت عيناه متحجرتين تطلقان شررًا:

www.ibtesama.com

تجارب إجرامية فى الدواء والكيماويات عامة.. وفى الجديد من الأغذية وفى مجالات الطاقة النووية والغازية والجرثومية.. بل وفى العديد مما يبتكرون من أسلحة وأدوات للفتك والدمار..

طأطأت رأسى وأغلقت عينىَّ.. وكأنما لأتفادى رؤية أفعالنا.. فكل الذى ذكره حق لا ريب فيه.. وطالما أدليت فيه بدلوى محذرًا ومنذرًا دون جدوى..

قلت وأنا أضع كفى فوق أصابعه التى يريحها على كتفى:

– أصدقك فى كل ما ذكرت.. وأعلم أنى كتبت مؤخرًا سلسلة مقالات أهاجم فيها ما يجرى من تجارب خفية وعشوائية باسم هندسة الوراثة.. فأغلبها لا يخضع لأى معيار خلقى أو رقابى..

بدت الراحة على وجه ابن النجوم.. وأشرقت ابتسامته..

– أرأيت؟ .. أنت تفهمنى إذن.. وتقدر موقفى..

– أفهمك وأقدر موقفك.. حقًّا!

قطب جبينه فقد تذكر شيئًا: ثم إن بعض المعارضين لما نعيشه على كوكبنا من سلام مطلق قد يستغلون حدوث مكروه محتمل لى هنا.. فيقومون بغزوة ضارية على كوكبكم.. سيحاربونكم بأدوات سلمية.. لكنها أيضًا ستزعجكم.. وتذيقكم هوانًا لم تعرفوه قبلا..

www.ibtesama.com

كتمت ضحكة كادت تفلت منى.. فلن يذيقنا أحد أمرَّ مما نذيقه لأنفسنا بأيدينا!!

كان ما يزال يتكلم: ومع كل لن أخذل قضيتك مع أقرانك.. فأنا عارف بها تمام المعرفة؛ لذا سوف أمدك بأدلة قوية قاطعة تؤكد لقاءك بى!

هتفت: أحقًّا ستفعل؟ .. كيف؟

– سأترك لك واحدًا من معاونىَّ الآليين.. وأزودك ببعض عددنا المتطورة التى لا يعرف مثيل لها عندكم.. وقد أجد فى جعبتى أشياء أخرى مثيرة تعينك.. طوقته بنظراتى الممتنة: «أشكرك»..

– أنت أول من أصطفيه من كوكب غير آميتون.. أنت صديقى دكتور نجاتى!

* * *

www.ibtesama.com

١١

عدت إلى الفندق عند الظهيرة وخلوت إلى نفسى برهة من الزمن.. ووجدت أفكارى تتجه وجهة تتناقض مع ما كانت عليه فى الصباح.. فقد أيقنت الآن مدى صدق رؤية ابن النجوم.. واقتنعت بكلماته ووجهة نظره أيما اقتناع.. بل أحسست أننى غالطت نفسى منذ البداية.. فلو عرف علماء ومسئولون غيرى حقيقة هذا الكائن لما تركوه فى سلام.. ولاستغلوا وجوده وكونه سليلاً لحضارة كوكبية ذكية غير حضارة الأرض إلى أقصى الحدود.. فمتى شاع أمره خارجيًّا والذى لن يتأخر إلا لدقائق بعدما يعرف داخليًّا فلربما هاجمتنا عندئذ منظمة إجرامية وخطفته منا.. أو نازعتنا دول أخرى أحقية البحث فى تكوينه وأسراره العلمية بصورة أو بأخرى.. أو اغتالته جماعة مغرضة لتحرمنا الانفراد باستضافته.. أو قد تنشأ مشكلة دولية لمجرد وجوده فى مكان بعينه، وتتعقد المشكلة وتتفجر فى حدة.. فكيف تنفرد مصر وحدها مثلاً باستخلاص ما فى جعبة هذا الوافد من علوم وتقنية مهولة.. وأهمها وسائل السيطرة والإفناء.. ووقتها لن يستمع أحد لأى نفى لشىء ولن يصدقه.. وربما كلمات مثل إن المصريين يمهدون لاحتلال العالم هى التى ستصدق.. وكما سبق ومدوا إمبراطوريتهم أيام قدمائهم الفراعنة..

أليس هكذا يفكر سياسيو اليوم وعسكريوه، فيسيل لعابهم على ما فى يدك .. فينقضُّون للاستيلاء على الكائن بأوهى الحجج..

www.ibtesama.com

دون النظر لأى عرف أو مبدأ خلقى كعادتهم، وقبل أن يتركوا أقل فرصة لتفاهم؟

وعليه فمتى ذاع أمر ابن النجوم فلا مفر أن تحط عليه متاعب لا حصر لها.. تتمثل فى فضول الناس وضغوط الصحافة والإعلام.. وجبروت أجهزة عدة علنية وخفية تعودت أن تدسَّ أنفها فى كل شىء.. وتحت شتى المسميات.. فى حين قد تتعرض حياة هذا الكائن ذاته لخطر داهم.. فما أكثر الحاقدين والموتورين والمجرمين وطالبى التسلية والمقامرة ولو بأرواح الآخرين.. ومن المحتمل نبذه ومحاصرته فتغلق الأبواب فى وجهه.. أو باعتقاله وسجنه خوفًا من قواه الغامضة التى يحتشد بها خيالهم.. وتطيرًا مما قد يحمله أو يجلبه أو يدبره ويتسبب فى حدوثه لأهل الأرض.. فإن أكثر ما ترهبه الجماهير وترتعب له هو ظهور قادم من الأقاصى البعيدة وفى جعبته قمة المجهول.. سواء أتى ذلك من سطوة علم عويص وتقنية ساحقة.. أو من كمونِ قوى خفيةٍ فيه.. أو لأية اعتبارات أخرى يجهل البشر أبعادها ومدى ضراوتها.. لاسيما وكُتَّاب قصص الخيال العلمى يشطحون ولا يألون جهدًا فى إرعاب الناس بجبروت أهل السماء ومدى بشاعة هيئتهم وتوحش سلوكهم..

فى المساء حين التقيت بعبد الله وأخبرته بزيارتى لمسكن ابن النجوم وما دار بينى وبينه من حوار انتهى برفضه المثول أمام أى عالم أو مسئول أرضى غيرنا.. وجدت عبد الله يؤيد مخاوف الكائن ويرى رأيه بكل حذافيره..

www.ibtesama.com

فى نهاية الأمر لم أجد مندوحة من الرضوخ لحل واحد لا ثانى له.. ألا وهو الاعتماد على ما سأخطه بقلمى وكامل إرادتى وقواى الذهنية.. ملتزمًا تمام الصدق والأمانة فيما أدونه من وقائع دون أن أضيف، اللهم إلا بعضًا من تأملاتى وانطباعاتى العابرة..

وها أنا أبدأ فى تسجيل قصة لقائى بالكائن هذا الفارع الوسيم الذى جاء من كوكب غير كوكبنا وحضارة تسبق حضارتنا.. والذى قدم لى نفسه مكتفيًا بتسميته ابنًا للنجوم وعارضًا دون موارية سماحة وخلقًا وسلوكًا وروحًا هم جوهر لتفوق وسمو، ليت إنسان الأرض يعى بعضه..

وبالتالى فأول تسجيل فعلى بقلمى للأحداث كما جرت تم عصر اليوم السابع من يوليو عام ألف وتسعمائة وستة وتسعين بادئًا روايتها بالتفصيل إلى حيث ترجع إلى قبيل الشروع فى كتابتها بثمانية أعوام كاملة.. فأول فصل كتبته قد بدأت وقائعه بالضبط مع بداية يوم التاسع والعشرين من شهر يونيو عام ألف وتسعمائة وستة وتسعين..

وقد عكفت على الكتابة ليلتين متتاليتين بطولهما حتى استوفيت ما مر بى قبلاً من أحداث.. منذ عقد ذلك المؤتمر الصحفى بغرض نفى ادعاءات نشرتها جريدة الجمهورية القاهرية.. والذى مرضت فى أعقابه واضطررت للمجىء إلى قرية النجع.. وحيث التقيت بابن النجوم واحتوتنا وعبد الله بعدئذ دوامة الأحداث والمفاجآت التى مر ذكرها..

www.ibtesama.com

أعادنى انهماكى المفاجئ فى الكتابة وبهذا القدر من الحماس والجدية إلى أيام شبابى.. وذكرنى بأول عمل لى فى مرصد القطامية شرقى ضاحية المعادى.. حينما كنت أعكف على تقسيم قبة السماء إلى مناطق وأجزاء.. وأقوم برصد كل جزء على حدة.. حتى أمكننى العثور على سادس الكواكب السيارة التى تم اكتشافها وتحددت أبعادها ضمن عوالم من غير مجموعتنا الشمسية.. ومن ثم أطلقوا على الكوكب اسمًا مصريًّا تكريمًا لشخصى .. ففى تلك الأيام كنت أقوم بتسجيل خطوات أبحاثى وتجاربى وما أتوصل إليه من نتائج على هيئة مذكرات يومية سريعة أعكف على كتابتها لمدة ساعة قبل ذهابى للنوم.. وكنت أملأ خلال الساعة ما لا يقل عن عشرين إلى ثلاثين من صفحات كراسة من القطع المتوسط.. والآن فقد أعدت سيرتى السابقة مع تركيز أكثر وقدرة وتمكن أكبر فى عناصر الكتابة.. أما الموضوع فليس أخطر ولا أشد جاذبية من وصف لقاء يتم بين كائنين من مخلوقات الله العلى القدير.. تفصل بينهما مساحة فى رحاب الكون قدرها ثلاثة من الأعوام يقطعها الضوء بسرعته فيما بين كوكبيهما..

وأما مجموع الأوراق التى أنتهى من كتابتها تباعًا حسب تطور الأحداث وتصاعدها.. يضاف إليها ما وعد ابن النجوم بأن يتركه لى من أدوات.. فإنها جميعًا ستكون أدلتى وحجتى الدامغة.. أطلقها فى الوقت المناسب لأفحم بها علماء وبشر نهاية القرن العشرين.. ذلك متى رحل الكائن ومضى سالمًا فى طريق عودته إلى كوكبه البعيد..

* * *

www.ibtesama.com

عزلنى استغراقى فى الكتابة مؤقتًا عن رؤية ابن النجوم.. فقد طال بقائى بحجرتى بالفندق فى أثناء الليلتين، فلم أبحث عنه ولا أتى هو إلينا كعادته.. حتى تساءلت بينى وبين نفسى عما يشغله رغم علمى بما يجريه من استعدادات للرحيل الطويل.. إلا أن اتصالى بابن شقيقتى ظل قائمًا.. فقد حرص عبد الله على لقائى يوميًا سواء على مائدة الطعام ملتزمًا بالمجىء إلى حجرتى ليطمئن على ويمضى بعضًا من وقته يؤنسنى بحديثه ورعايته.. ويزودنى بما يعتقد بأهميته من أخبار وطرائف ما جرى لنا كلينا محاولاً قدر طاقته مساعدتى فى استكمال ما أدون..

اليوم دار بيننا حديث متقطع حول موطن ابن النجوم ونحن جلوس نتناول غداءنا .. ورحنا نناقش أوجه التقارب والاختلاف بين الكوكب آميتون وبين أرضنا.. وكما استنبطناها من أقوال الكائن أو معلوماتنا عن الكوكبين ولو أننا لم نكن حتى نعلم بوجود آميتون قبل مجىء هذا الكائن..

فلما انتهينا من طعامنا صعد عبد الله معى إلى حجرتى لنستكمل كلامنا.. لكنه بدلاً من ذلك وجدته يفاجئنى بقوله بينما هو يطل من الشرفة بلا هدف محدد:

– لقد رأيتها معه.. منذ نحو الساعة..

تساءلت: رأيت من ؟

– راعية الغنم.. شاهدتها مع صاحبنا الكائن..

www.ibtesama.com

ولما كنت فى زحمة الأحداث قد نسيت الفتاة فقد أدهشنى ذكرها.. فقلت بينما أخرج إلى الشرفة بدورى: ياه .. ترى ما الذى جمعهما .. ثانية؟

لكن عبد الله بادرنى بسؤال بدا أنه يطرحه على نفسه قبل أن يخصنى به..

– هل هما متحابان؟

– الكائن والراعية.. أممكن؟

– أظن أن عاطفة قوية قد ربطت بينهما.. إنه متيم بها فعلاً .. وبكيفية تفوق ما يقع من بشرى يحب!!

اتجهت بذاكرتى إلى رؤى ماضية بينما أردد آليًّا: أحقًّا ما تظنه؟

تابع عبد الله: لقد اجتذبنى مرأى الغروب بينما كنت أقود السيارة فى ذلك الطريق المقفر المطل على امتداد الصحراء غربًا.. فأوقفت المحرك.. وهبطت أرتقى صخرة واطئة تبرز وسط الرمال لأتأمل القرص الأحمر وقد بدا كبيرًا متوهجًا على غير العادة حينما تناهت إلى سمعى مأمآت خراف ونباح كلب.. فلما تتبعت مصدر الأصوات ببصرى لم أفاجأ برؤية الأغنام قدر مفاجأتى برؤية ابن النجوم وقد احتضن الفتاة الراعية.. فى جلسة على الرمال بينما كانا يحدقان ويتوهان صامتين وقد أوليا وجهيهما إلى القرص الهابط.. أو إلى لا شىء عبر الأفق البعيد وقد انفرشت بامتداده سحابة قرمزية عريضة..

www.ibtesama.com

– وهل أشعرتهما بوجودك؟

– ولمَ يا خالى.. لا .. لم أفعل.. لم أشأ التدخل، لقد احترمت لحظة الاستكانة الحانية التى رأيتهما عليها..

وبلغ استدعائى لأفكارى الدفينة مداه.. ترى ما الذى ينمو فى أعماق ابن النجوم ماذا بالضبط؟.. بالطبع لاحظت اهتمامه الزائد بالفتاة.. ولاحظت تكرار ذهابه إليها وتهربه واضطرابه لدى ذكرها..

وبينما أقلب فى ذاكرتى تطرقتْ إلى أذنى كلمات لعبد الله يرددها لنفسه: «ابن النجوم يختار راعية غنم!! قمة من السماء تهبط إلى قاع الأرض.. تتساوى به.. أم أنى أخطأت التقدير؟؟»..

أجبته مغالطًا ما يرفضه عقلى من ارتباط بين نقيضين فى تقديرى..

– لعل ميزات ما استهوته فيها.. أو مواقف ربطت بينهما.. أو .. هو تسرع منك فى الحكم على موقف تلقائى.. ما لم تتفرد تركيبة الكائن العصبية فى نواح نجهلها.. ثم برزت أمامى فكرة جديدة فأضفت..

– بل أظننى أميل إلى القول بحدة وسخونة عواطف الكائنات الآميتونية.. وإن كنت لا أدرى .. كيف تتغلب العواطف على اتزان العقل المتقدم لديهم؟

– هل وضحت لى ما تقصده.. بصورة أبسط؟

www.ibtesama.com

تكلمت ببطء وتركيز: أتعرف يا عبد الله.. إننى أتصور أن ابن النجوم وقومه.. وبرغم سبقهم العلمى والتقنى.. فهم.. ما يزالون يعيشون عصرًا عاطفيًّا ذا جو رومانسى خاص بهم.. وقد تكون أو هى كذلك.. رومانسية أثقل وطأة وأكثر رسوخًا من رومانسيتنا وقت تألقها فى زمننا القديم.. إنها لديهم شىء عميق مطلق لا فكاك منه.. بدا عبد الله متحيرًا مهمومًا..

– وهل يتفق تأجج العواطف وأحلام اليقظة.. مع جدية العلم وصرامته.. أعنى كيف يكون الفرد منهم عمليًّا وحالمًا فى نفس الوقت!!

قلت مستعرضًا وجهة نظرى: لا بد أن ذلك يحدث بكيفية ما.. ولم نذهب لبعيد.. لننظر لدينا.. ليوناردو دافينشى مثلاً فى رسوماته.. فى لوحته الجيوكاندا كان رومانسيًّا صرفًا.. لكنه اتصف بالجدية وبالتفكير العلمى المتعمق حين صمم مخترعاته العديدة.

ترك عبد الله وقفته فى الشرفة ودخل يلقى بجسده على حافة فراشى:

– تعنى يا خالى أن العواطف قد تتشابه من كوكب لآخر؟

أومأت موافقًا: فى التفاصيل هناك اختلاف حتى بين التوائم أبناء الكوكب الواحد.. أما التيار الرئيسى الممتد عبر الكون من أوله إلى آخره.. إلى كافة أنحائه.. وهو الأهم.. فنلحظ أنه شحنة دافقة عظمى متوحدة..

www.ibtesama.com

هرش عبد الله رأسه: فالحب هو الحب عبر الكون.. سواء كان أعمى عند البعض أو ظل مبصرًا لدى الآخرين..

– بل أعنى أن أجمل ما فيه أن إرادة الله متى شاءت تحاب اثنان.. مهما نأى كل منهما عن الآخر.. فى الزمان والمكان وفى معايير أخرى متعددة..

– بالفعل .. فالحب وقدة نور.. يمكنها النفاذ.. حتى فى أعماق ظلمات الأبدية..

* * *

فى المساء أخبرنى عبد الله أن إجازته التى يقضيها معى.. ليقابل ابن النجوم بشأن قطع الغيار التى صنعها من أجله.. قد بقى منها يومان.. وأنه مضطر للعودة بعد الغد مساء..

ثم سألنى : وأنت يا خالى ألم ينته علاجك فى النجع؟ ألا تفكر فى العودة إلى منزلك وعملك بالقاهرة؟

فأجبته من فورى: ليس قبل أن يرحل ابن النجوم.. والأهم لا بد أن أتسلم منه ما وعدنى به من عدد وأجهزة على رأسها الآلى..

فشرد عبد الله وتمتم: أتظنه يصدق؟

– إن احتمال عدم صدقه.. أو تراجعه.. غير وارد لدى..

حدق عبد الله فى وجهى فقد واتته فكرة: ما رأيك.. آخذك الآن فى جولة بالسيارة للبحث عنه لتعرف سبب اختفائه عنا هذه الأيام؟

www.ibtesama.com

– ألم تقل إنه يلازم راعية الغنم؟

– ليس كل الوقت طبعًا.. لا بد أنه مشغول باستعدادات الانطلاق بمركبته إلى عالمه..

تنهدت : لقد أعلن عن قرب سفره.. لكن لم يحدد موعدًا..

كلمات عبد الله أشعرتنى بأن سفر الكائن وتركه لكوكبنا أصبح أقرب مما أظن.. بل يوشك أن يقع اللحظة.. وفى الحال شملنى إحساس قوى بافتقاد الكائن.. فقد ارتبطت به بكيفية لم أكن أتصورها: «إذن خذنى فى جولتك يا بنى.. خذنى إليه»..

وانطلقنا فى جولة بسيارة عبد الله امتدت لثلثى الساعة لكننا لم نجد أثرًا لابن النجوم لا فى شقته ولا فى أنحاء القرية ولا فى مكان اللقاء مع راعية الغنم.. ولم يتبق إلا أن نجتاز الصحراء القريبة ونخترق منطقة الرمال سيرًا إلى حيث تستقر مركبة الكائن.. لكننا لم نفعل.. وإنما آثر ابن شقيقتى أن نعود أدراجنا إلى الفندق..

وحيث توقفت السيارة بقرب البوابة المضاءة.. هنا أطل علىَّ وجه من نافذة بابها الذى أجلس وراءه.. ولم يكن إلا وجه ابن النجوم..

عابسًا كسيفًا تملؤه اللهفة لرؤياى..

مد أصابعه عبر النافذة المفتوحة وتشبث بذراعى: أخيرًا وجدتك..

– لقد كنا بدورنا نبحث عنك..

www.ibtesama.com

ساعدنى فى ترك السيارة وقال جادًا: أريدك يا دكتور فى أمر بالغ الأهمية..

وتقدم يسبقنى إلى حديقة الفندق.. ولدى أقرب مائدة جَذَبَ مقعدًا وارتمى عليه.. فى حين جلست وعبد الله فى المواجهة.. وخلال ثوان من الصمت استعاد بعضًا من هدوئه.. فقد شبك ذراعيه ومد عنقه.. وقال جملة بسيطة قاطعة:

– لقد قررت الزواج من شوق..

انفلتت الصيحة خافتة من بين أسنانى: ولكن....

قاطعنى: أحببتها.. لا بد أن أرتبط بها..

شهق عبد الله : وهى..

– الحقيقة .. الزواج كان موفقًا.. أصرت هى أن يسبق أية خطوات نتخذها معًا فى المستقبل..

استعجلت الوصول إلى ما يهدف إليه: اتفقتما إذن؟ رتبت معها كل الأمور ولم يبق سوى المأذون والشاهدين!

– لا .. ليس هذا ما يقلقنى.. بل بقى أمر بالغ الأهمية بالنسبة لى..

لم أفهم مقصده.. لم تسعفنى الكلمات.. بينما دنا ابن النجوم بجسده فيما يشبه الزحف معتمدًا على يمناه من حافة المائدة إلى وسطها.. يكاد يلصق وجهه بوجهى.. وقال وهو يغيب أطراف أصابعه فى جيب قميصه..

www.ibtesama.com

– آمل ألا تخيب رجائى.. فى المجىء معى إلى مسكنى.. لتبيت الليل وحتى الغد مساء.. مناشدًا إياك أن تؤدى لى معروفًا صغيرًا.. وحبذا لو رافقك أيضًا السيد عبد الله..

وأخرج أصابعه وقد قبضت على ما خيل إلىَّ أنه رصاصة من بلاستيك أو مادة لدنة.. بينما يضيف ببطء وتركيز.. فقط ستغيب هذه الكبسولة فى فتحة بظهرى.. بالكتف اليمنى.. ثم تربض مرتقبًا إلى جوارى ساعات قليلة.. فإذا حدثت مضاعفات لحقتنى بالإسعاف اللازم..

– بالله .. ما الذى تعنيه بالتحديد؟

– هو إجراء لا بد منه لإتمام الزواج إنه .. إنه مصيرى..

صحت بعصبية والفضول والدهشة يتملكاننى: لماذا؟

ألقى بقنبلته أو مفاجأته: لأن تكوينى ليس مثلكم.. فأنا كائن أخضر.. خلايای خليط من خلايا حيوانية ونباتية..

* * *

www.ibtesama.com

١٢

كالمنوَّم صعدت إلى حجرتى وجهزت أقل ما أحتاجه من ملابسى فى حقيبة يد صغيرة.. وفى دقائق معدودات كنت أقف وعبد الله ببهو الفندق على أهبة التحرك.. وخلال دقائق تالية حملتنا سيارة ابن شقيقتى ومعنا الكائن.. إلى حيث وصلنا وصعدنا ودلفنا إلى مأواه وأغلق على ثلاثتنا باب شقته.. وإن تصورت رابعًا يلازمنا يتمثل فى كمٍّ من الذهول الثقيل الذى يصعب تبديده..

ألقيت بحقيبتى على مقعد وجلست على آخر بينما جلس عبد الله وحقيبته ما تزال فى يده.. أما ابن النجوم فتسمر ينتصب بقامته الممشوقة أمام باب الدخول وكأنه تمثال من الجرانيت الأصم..

وران صمت ثقيل.. ثقيل..

وتجمدت الأشياء..

حتى قطعت كلماتى الحيرى الصمت: إذن فأنت كائن أخضر؟!

فى حين أكمل عبد الله وقد استعد وتحفز: وهناك عقبة من نوع ما تعيق زواجك بإنسانة أرضية.. وتطلب معاونتنا من أجل ذلك..

قال دون أن يفتح فمه: ليتها عقبة عادية.. وإنما أراها هلاكًا محققًا..

– تموت!! لمجرد اتصالك الجنسى بأرضية؟!

www.ibtesama.com

– إن اتصال الخضر بكائنات غير خضراء ينشئ حالة من التضاد الخلوى.. تدمر خلايا المخلوق الأخضر لأن أصولها المختلطة بمورثات نباتية أضعف فى نواحٍ معينة عن المورثات الحيوانية الخالصة غير المختلطة..

أفلت عبد الله مقبض حقيبته فسقطت بين قدميه.. شبك ذراعيه.. أغمض عينيه.. ليقول فى توسل: أرجوكما.. ترفقا بى.. الموضوع يحتاج شرحًا مستفيضًا من بدايته..

نزلت على إرادة ابن شقيقتى، فقلت وأنا ألقى المهمة على عاتق الكائن:

– تفضل.. قص قصتك من أولها..

دون أن يغير وقفته أو يحرك أطرافه.. ومن قبل تصلب قسماته وانغلاق فمه.. راح صوته يعلو..

– إن بدايات تاريخنا القديمة جدًّا تعلن أننا لم نكن قريبى الشبه بكم من الخارج فقط.. وإنما كنا نماثلكم فى الشكل وفى التكوين وفى أغلب الصفات الوراثية.. وقد ظلت هيئاتنا الخارجية على حالها.. لا اختلافات تشوبها.. إنما التطور الذى لحقنا بدأ واستمر داخليًّا فحسب.. أما لون البشرة فقد تغير فى الأجزاء العليا من أبداننا..

قالها وتحرك ينزع عنه قميصه.. ليتضح لنا اخضرار منطقة العنق والقفا فالأكتاف والظهر وتحت الإبطين ثم إلى البطن

www.ibtesama.com

والخصر كله.. وقد بدا ظهر الكائن أكثر عتامة فى اخضراره عن منطقة البطن والإبطين لديه..

تابع: فى البداية أدت محاولات علمائنا دمج الصفات الوراثية لدى بعض كائنات المملكة الحيوانية بمورثات منتزعة من خلايا نباتية.. إلى ظهور أول مخلوق نباتى حيوانى.. أى يجمع بين خصائص كليهما معًا..

ولما كانت معلوماتى فى مجال حديث ابن النجوم لا بأس بها.. فقد جاريته قائلاً:

– وولد الطفل الأخضر.. وقد احتوت خلاياه على بلاستيدات نباتية.. هى التى تصنع المادة الخضراء متى تعرض جسده لأشعة الشمس، أى هى التى تسهم فى عملية التمثيل الضوئى عنده.. وبذا يحصل الطفل الأخضر على غذائه ذاتيًا عندما تكون الشمس مشرقة..

بدا الاستحسان على وجه ابن النجوم.. لكنه لوح بإصبعه:

– إن ما تعنيه يا دكتور يمثل النتائج المبدئية والمبكرة.. والتى لا تقارن بما وصل إليه الحال الآن.. فأنا مثلاً.. أُعتبر نتاج تطور طويل ومعقد فى تركيبته يستحيل إيجازها.. أما أجدادنا الأوائل فلم يكونوا كاملى الصفات..

كان عبد الله يعيش على ما بدا أعظم لحظاته بتتبعه الحوار الدائر حول هذا الكشف العلمى المذهل.. سأل: «وكيف كان حال الأجداد؟»..

www.ibtesama.com

قال ابن النجوم : على سبيل المثال، لقى هؤلاء معاناة لدى اختفاء ضوء الشمس.. فقد حدثت وفيات كثيرة بينهم.. حتى أن أكثر من جيل من أجدادنا كانوا لا يتحركون ليلاً بدون ارتدائهم لقبعات ذات فوانيس مصفرة الإضاءة.. لتعوض خلاياهم بأشعة صناعية..

هتف عبد الله: فوانيس.. إلى هذه الدرجة!!

– كل ذلك انتهى.. فأجيالنا الحالية فى مقدور غددها اختزان الأشعة حين نعرض أجسادنا لها مدة ساعة زمن واحدة يوميًا..

تذكرت فى الحال جلسات ابن النجوم عاريًا فى شرفة السطح العلوية بالفندق.. وتذكرت تصرفات أخرى له لم آخذها مأخذ الجد فى حينها..

تمتم الكائن: وكانت هذه أول محن التحول الأخضر الخطيرة التى تغلب عليها قدماؤنا.. أما المحنة الثانية فبرزت لدى أول اتصالنا بالحواءات القادمات من كوكبكم «الأرض».

عجلت أسبقه فى تفسير الأحداث:

– آه .. دعنى أخمن.. كنتم وقتها قد قطعتم أشواطًا طويلة فى طريق التحول إلى كائنات خضراء.. بل أتخيلكم قد تحولتم كلية إلى التكوين الجديد.. وعقدتم عليه جيلاً بعد جيل.. ثم حلت كارثة وباء العقم.. ومن ثم فإن اتصالكم بكائنات ليست خضراء.. كالحواءات الأرضية.. أصبح عقبة إن لم أقل كارثة جديدة.. فكيف تغلبتم عليها؟

www.ibtesama.com

أجاب: فى هذه النقطة بالذات أعترف.. بحدوث معجزة.. إذ توصل طبيب شاب من هواة اللعب مع العقول الإلكترونية المفكرة.. وهى هواية الغالبية من شبابنا.. توصل بعد برمجة موفقة قام بها إلى تكوين تركيبة الأكسير م. ت. خ.. أو موقف التضاد الخلوى.. وهذا كل شىء..

لم أكن أتوقع نتيجة سهلة كهذه فأعدت قوله: «أهذا كل شىء؟!».

– أجل .. وهذه هى كبسولة الأكسير..

وعاد الكائن يقلب الكبسولة بين أصابعه.. ثم فى هدوء انحنى وتركها فى راحة يدى.. فقبضت عليها وقربتها من وجهى..

بدت فى غلافها الشفاف قوامًا لدنًا طوله ثلاثة سنتيمترات وعرضه سنتى واحد.. بينما تدبب طرفها وتميع لونها إلى البنى الباهت..

قلت: هذه التركيبة سيمتصها جسدك.. فتنقذك؟

قال فى ثقة: ولن أحتاجها إلا لمرة.. فى البداية فحسب.. فمفعولها يمتد لشهر أو يزيد.. أما نتاج الزواج.. أعنى الذرية.. فلا تحتاج لأى أكسير.. فكل الأمور بعدئذ تسير سيرها الطبيعى..

ثم احتوانى ببصره فى توسل صامت بينما قطرات عرق تلمع فوق جسده الأخضر العارى فتبرزه ملكًا أسطوريًا رائعًا فى وقفته وتفاصيل جسده..

www.ibtesama.com

– سنبدأ الآن .. حالاً .. قلت: أغسل يدى جيدًا بالماء والصابون. ثم نزعت غلاف الكبسولة لتفوح رائحة نفاذة كالكافور.. وخطوت إلى حيث جلس ابن النجوم يعطينى ظهره وقد انحنى بقامته الفارعة فى استكانة مهذبة.. وفى شق يشبه جرحًا مفتوحًا غيبت الكبسولة لأسمعه بعد ذلك يزفر فى ارتياح كبير:

– أشكرك.. وبينما يفرد صدره ويرفع رأسه قال والإشراق يعود إلى وجهه.. والابتسامة المعهودة تحتل شفتيه:

– الساعات القادمة.. طالما بقيت فى وعيى.. أنا رهن لكل ما تسألان..

وجدتنى أتوجه لنفسى مندهشًا: «يا له من طلب غير منطقى.. إنه يقول كل ما تسألان.. وهل لديه من الوقت ما يكفى، أو هل لدينا حرية السؤال حقًا.. وحتى لو اعتصرنا كل أسئلتنا فهل سيمكنه بالفعل أن يعرفنا ولو بجوانب من مقومات تحضرهم.. مهما دقق وركز وشرح باستفاضة».. ورحت أقول لنفسى متحسرًا: «أجل.. لعل أكثر ما يصيب عالمًا بالإحباط أن تتفتح أمامه طاقة بكم ضخم.. من أسرار العلم وقفزات التقنية.. فتعجزه تفاصيلها الكثيرة عن التعمق فى أى من أغوارها.. ولا يتاح له إلا أن يشاهد الشريط عن بعد.. فاغر الفم.. مشدوهًا.. فى حين لا يمتلك أى أدوات للغوص.. ويضيق وقته.. ويزداد قهره.. فيتشتت فكره وحواسه ويضيع فى مجرد رؤية غير مشبعة لا يكاد يفيق منها إلا لتتلقفه رؤية أبهر من الأولى»..

www.ibtesama.com

هكذا كان حالى.. رؤى ومشاهد.. وشريط متحرك.. وانفلات ضارٍ لمقومات حضارية لا أفوز منها بغير هباء أو قشور.. أو هو دخان ما إن يتشكل حتى يسرع فيتبدد..

وغلبنى إحساس بالرثاء لحالى.. وكدت ألعن قدراتى العلمية وسنوات ما حصلته من دراسة وبحث وتجارب.. وغلبنى القهر فوجدتنى أغلظ فى القول للكائن.. وقد عاد إلى وقوفه فى حيوية وكأنه نسينا ولم يعد يفكر سوى فى زواجه الوشيك..

– يا أخى.. كلمنا عن تكوينك النباتى المخضر.. ولا تتركنا لحيرتنا..

انتبه ابن النجوم.. أحس بالحرج لانصرافه عنا ثوانى.. فأسرع يقول:

– لكن ظهور الكائن الأخضر.. وتأكيد انتشاره.. قلب كل شىء على ظهر آميتون.. أسلوب الحياة تغير.. السلوك والنظم والمفاهيم تبدلت.. واختلفت الصورة عما كانت عليه فى كثير.. بدءًا من مياه الشرب ولقيمات الغذاء إلى هندسة التشييد والبناء..

ورغمًا من نفاد صبر عبد الله إلا أنه توسل: أرجوك.. من البداية!

– ماذا أقول؟ والفكرة ليست دخيلة على الطبيعة.. ففى بدايات الحياة على ظهر كوكبنا منذ أكثر من أربعة بلايين عام.. وكما كان الحال أيضًا على أرضكم منذ بليونى عام.. عاشت كائنات أولية ذات خلية واحدة تجمع بين النبات والحيوان عرفها علماؤكم باسم اليوجلينا..

www.ibtesama.com

وقد امتلكت هذه الكائنات الأولية فى مادتها الحية البلاستيدات الخضراء.. وهى أجسام بيضية تحتوى على الكلوروفيل الذى يثبت الطاقة الشمسية ويحولها إلى طاقة كيميائية..

تذكرت الموضوع.. قلت: لقد قرأت عن هذا الكائن البسيط.. الذى يفقد مادته الخضراء إذا ما بقى فى الظلام لأيام، وبذا تتبقى صفة الحيوانية .. فإذا عرض لضوء الشمس اكتسب لونه الأخضر وعاد لصفته النباتية..

استطرد الكائن: وبحار آميتون للعلم مثل بحار الأرض وربما بحار كواكب أخرى فى الكون تحتوى على نماذج متعددة من الكائنات المزدوجة هذه .. كالمرجانيات.. والطحالب.. وغيرها..

حاول عبد الله أن يرتب أفكاره: إذن قام علماء كوكبكم بتقليد أو محاكاة ما أوجده الخالق فى الطبيعة.. على نماذج حية منكم.. بأن زرعوا الجينات النباتية المسماة بالبلاستيدات فى خلاياها.. فقامت بعملها ضمن جهازها الوراثى؟

– تمامًا.. وتوجت تجارب العلماء بمولد الطفل الأول وبه نوعا الخلايا معًا.. فما إن عرض للضوء حتى اكتسب اللون الأخضر تدريجيًّا.. وبذا أصبح نباتًا فى كائن أو كائنًا فى نبات..

بهرنى الحوار الدائر حقيقة.. تمنيت أن أحصل على وثائق علماء هذا الكوكب القصى.. وأن أتحول من عالم فى الفلك إلى عالم فى هندسة الوراثة حتى أقوم بخطى رائدة ينتج عنها مولد الطفل الأخضر.. المصرى..

www.ibtesama.com

لكن ردنى صوت ابن النجوم إلى الواقع وهو يقول: لقد تحولت حياة أفرادنا تحولاً جذريًا فأصبحت تعتمد فى غذائها على التمثيل الضوئى.. مستخدمة غاز ثانى أكسيد الكربون فى بناء سكرياتها ونشوياتها.. ثم تطلق داخل أجسامها غاز الأكسجين الذى يعطيها دفعات متجددة لأكسدة سكرياتها.. لتستمد ما تحتاجه من طاقة وحيوية..

تمتم عبد الله مسحورًا تائهًا: يا له من إنجاز!!

– صدقت.. هو فعلاً من أعظم إنجازات علمائنا..

على أن أفكارًا طافت برأس عبد الله .. فدمدم ساخرًا: بينما تتحولون أنتم إلى الذاتية فى تغذيتكم.. فما يزال بشر الأرض.. نصفهم يأكل أكثر مما يحتاج والنصف الثانى يموت جوعًا..

ولم أرد أن يتوقف ابن النجوم عن الكلام .. فكلماته تلهب خيالى.. بعد أن تتسلل إلى شراييني .. أدق شراييني..

سألته فى رجاء..

– ماذا أيضًا عن مميزات التحول إلى الاخضرار؟

من بين عبق لرائحة نبات الكافور تسللت إلى أنوفنا.. استمر الكائن فى سرده وكأنه يستعذب الخوض فيه..

– كما قلت تغير وتبدل الكثير على كوكبنا.. مشاكل الغذاء انتهت.. منغصات المأوى زالت وأصبحت الحوائط أغلبها من مادة الشنش الصلبة الشفافة، وكذا من البلور والزجاج.. كما

www.ibtesama.com

اختفت كليةً أمراض كثيرة بانتهاء أكل اللحوم والدهون.. أما الملبس فقد قلت حاجتنا إليه فنحن على آميتون لا نرتدى غير الشفاف من النسيج.. وهناك جماعات منا تكتفى بالسراويل فقط مفضلة تعرية نصفها الأعلى..

رفعت يدى: أرجوك.. وقفة صغيرة أمام الأمراض التى اختفت.. أظن أن أولها أمراض القلب والشرايين؟

– أصبت.. هو كذلك..

– ثم ماذا؟

كل أمراض الهضم والسمنة.. وأغلب أمراض المسالك البولية.. وكثير من أمراض الحساسية.. وأمراض ميكروبية وأخرى فيروسية..

تعجب عبد الله: كأن الكائن الأخضر خلت حياته من المشاكل؟

جلس ابن النجوم على أريكة فى مواجهتنا بينما ازدادت رائحة الكافور تعبق جو الحجرة..

– بل واجه الكثيرون أمراضًا جديدة مثل الآفات الزراعية.. وتعرض البعض لمشاكل طريفة.. فقد نام فريق من شباب الكشافة فى خيامهم التى نصبوها فى مزرعة.. فتعرضوا لهجمات قطيع من حيوانات الرعى.. حيث اشتمت فيهم روائح نباتية؟!

ضحك عبد الله وقال بينما يرسم بإصبعه عنوانًا وهميًّا فى الهواء: تحذير للمخلوق الأخضر.. منطقة لرعى حيوانات برية..

www.ibtesama.com

ضحكت بدورى رغم ابتعاد الصورة عن الواقع.. فى حين لم تعجب هذه الصورة ابن النجوم ولعله لم يفهمها.. فقال فى فتور:

– الموضوع لم يستغرق بضعة أعوام تلاشت بعدها الروائح النباتية من كائناتنا..

حاولت أن أهدئ الجو المتوتر وفى الوقت ذاته أستعرض مشكلة تؤرقنى.. فقلت:

– ما يزال على رأس مشاكل كوكبنا جرائم التفرقة العنصرية.. يقترفها عدد من الدول فى شراسة تريد إيقاف الزمن وإرجاعه إلى الخلف.. كجنوب إفريقيا وإسرائيل ودول أوروبية.. فلو انتشر البشر الأخضر على كوكبنا لاختفت جرائم التمييز والقهر العنصرى خلال ربع قرن نهائيًا..

بدا الهدوء على ابن النجوم فأراح ظهره على الأريكة.. ليظهر لنا أطول قامة كما بدا أنه يقلص من حدقتى عينيه محاولاً تركيزهما..

قال: وبمرور الزمن ازداد أفراد شعبنا حيوية ونأيًا عن الشيخوخة فطالت أعمارنا ليصبح متوسطها مائتى عام..

بدت الصورة أمامى أسطورية.. تبلغ حد الكمال، وكأننا نقرأ سطورًا فى مدينة الفارابى الفاضلة بترتيب جديد.. شردت بعيدًا:

– يا لها من روعة فى العيش.. فلا طعام يثقل ولا هضم متعثر.. ولا ميكروبات.. لا سموم أو كيميائيات دوائية.. والمجاعات لا وجود لها.. والأمراض هامشية.. وانتهت أعباء الملبس والمأوى.. وغيره وغيره.. أنتم بالفعل محظوظون..

www.ibtesama.com

– لأن جهد علمائنا يصب فى مجرى واحد.. هو مصلحة الفرد.. فنحن نعيش على آميتون فى سلام دائم تدعمه آلاف من قلاع العلم والإنتاج المتواصل.. وذلك على عكس سلوككم وتصرفاتكم ونزعاتكم على كوكبكم.. حيث الحروب عبر تاريخ الأرض كله.. فلم تنعموا بسلام يعم ربوعها.. ولو ليوم واحد..

ارتخى جفناه.. واستكانت ذراعاه..

إلا أن عبد الله كان يرزح تحت وطأة سؤال يعذبه.. لكنه تجرأ على القول أخيرًا:

– لدى سؤال آمل ألا يضايقك..

قال فى تثاقل: قل.. ما يعنُّ لك..

– مهما كانت خصوصيته؟

– قل.. قل..

وأفرج عبد الله عن سؤاله.. فى صوت بالكاد يسمع:

– بكل خبراتك وجذورك العلمية وما تحمله من فكر راق.. بل وتكوين خلوى فريد.. مما يضعك على القمة فى حضارة تسبق حضارة كوكبنا بآلاف الأعوام.. فكيف انجذبت إلى امرأة .. من .. من..

أكمل دون حرج: تعنى من قاع الجنس البشرى.. أليس هذا ما تريد قوله؟

– أجل!! هو هذا..

www.ibtesama.com

– الموضوع بسيط.. لا يشكل حساسية لى بالمرة.. لقد أعجبتنى شوق لأنها طبيعية وعلى سجيتها.. وتمثل فى جوهرها ذات النقاء الذى يشكل الكائن منا.. وهذا وحده الأهم.. كما لديها استعدادات سلوكية رائعة.. ثم.. هى جميلة وسليمة صحيًا وعضويًا.. ونفسيًا..

– لكن..

– أعرف ما ستقول.. اعتراضك ينصب على مستواها الفكرى.. التعليم والثقافة وكم المعلومات عندها.. حتى تقترب منى.. مفهوم.. لكن من قال لك إنها ستظل على ما هى عليه؟

دلى عبد الله فكه: تعنى أنها.. أهذا ممكن !! كيف؟

استجمع ابن النجوم أفكاره.. هل كان يجد صعوبة فى ذلك.. أخذ نفسًا عميقًا وكأنه بدوره قد ضاق برائحة الكافور..

– اللغات الرسمية على آميتون أربع لا غير.. والمواطن مطالب بتعلمها جميعًا.. أما لغات الكواكب التى اتصلنا بها أو ذهبنا إليها فعددها نحو سبعة عشر ألف لغة.. جميعها معروف ومدروس ومؤرشف بسجلاتنا..

صمت يمسح عرقًا أخذ كنتح الأوراق على وجهه وعنقه حتى كسا صدره..

ثم تابع : إننا نتعلم لغاتنا ولغات غيرنا.. إن ذلك يسير.. ومتاح بوسائل متقدمة لم تعرفوها بعد.. إننا نتلقى دروس

www.ibtesama.com

اللغات ودروسًا غيرها من مواد الدراسة المختلفة.. عن طريق البث المباشر من محطات العقول الإلكترونية المركزية عالية الأداء إلى خلايا الأمخاخ الحية.. للأفراد صغارًا وكبارًا ومن جميع الأعمار.. إن موجات البث تنصب صبًّا.. وبحيث تنقش المواد فى الخلايا المخية حال تلقيها..

وبذا تثبت المواد خلال أوقات قياسية.. فأطول المواد مثلاً يكفيها ثلاثون يومًا، بينما المواد السهلة يكفيها أربعة أيام.. ويتم تلقيها فى اليقظة أو المنام، فالأمر سيان.. وفى نهاية أى مرحلة دراسية لا تعقد أية اختبارات فالنتيجة النهائية مؤكدة مع كل درس..

عندئذ وجهت كلامى إلى ابن شقيقتى: أظنك تستطيع الآن استخلاص الإجابة عن سؤالك؟

فلمعت عيناه: بالطبع.. ستقدر الزوجة الشابة أن تزود بما يرفع قدرتها إلى مستوى يناسب مكانة زوجها العلمية والثقافية..

وفكرت بصوت عالٍ: إذن لا بد أن ترحل الراعية إلى بعيد.. إلى آميتون الكوكب القصى!!

التفت إلىَّ عبد الله.. حدق فى وجهى .. قال يحدثنى وهو يقصد نفسه بكلماته:

www.ibtesama.com

– ألا تتمنى يا خالى أن تخوض تجربة التعلم لديهم.. فالسن لا تهم كما يقول؟

– من لا يتمنى الرحيل إلى هناك ليتعلم الكثير.. يرى ويلمس ويجرب كل شىء بنفسه.. ولو يبلغ أرذل العمر..

ولاحقنى عبد الله : أنا مثلك.. أتمنى أمنياتك..

واستدار ابن شقيقتى يكلم ابن النجوم فى فورة انفعاله:

– أحقًّا بمقدورنا.. الرحيل معك إلى...

لكن الكائن كان قد راح فى سبات عميق وسط بحيرة من عرقه ورائحة كافوره.. التى خف تركيزها أخيرًا أو تعودنا عليها..

* * *

منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي

www.ibtesama.com

١٣

مرت الساعات ببطء وتلكؤ حتى اكتملت فى النهاية تسعًا وثلاثين ساعة.. أى نحو يوم ونصف دون أن يحدث ما يكدرنى وعبدالله.. بينما نحن نلازم ابن النجوم ولا نتركه دقيقة واحدة دون مراقبة شديدة، وكل منا متحفز ومستعد لأى طارئ.. لكن الكائن ظل سادرًا فى نومه الثقيل وسط عرقه ورائحة كافوره.. واعترته أحيانًا بعض الاختلاجات فى وجهه وساقيه.. وأخذ يهمهم بألفاظ لغة غير مألوفة تصدر.. وهذا هو العجب من بطنه أو داخله.. لكننا لم نجد داعيًا لاستخدام الرشاشة التى أعطاها لى وأوصانى بإطلاق هوائها على أى جزء فى جسده يعتريه الاحمرار أو التورم.. فقد مرَّت الساعات ولم يحدث شىء من ذلك.. حتى وجدناه فى الصباح المبكر لثالث الأيام يجلس معافى فى فراشه..

كنت وعبدالله قد تناولنا فنجانى شاى مع أصابع البسكويت وشرعنا نقرأ الجرائد.. حينما رأيناه يتمطى ثم ينهض جالسًا.. وقد تلاشت رائحة الكافور منه ومن حوله..

استقبل عبدالله يقظة ابن النجوم بفرحة.. قال يشجعه:

– ها قد استيقظت وعدت إلى سابق حالك..

اعتدل الكائن ودلى ساقيه من جانب الفراش: هل سببت لكما متاعب؟

أجاب عبدالله: استغراقك فى النوم هو كل ما بدر منك..

www.ibtesama.com

وأضفت أنا: اطمئن.. فقد شغلنا وقتنا فى القراءة..

– لا أدرى بدونكما ماذا كنت أفعل.. حقيقة.. أنا مدين لكما..

قالها الكائن وهو ما يزال قابعًا على حافة الفراش.. لكنه هز رأسه وقفز ينتصب واقفًا بينما يحاول أن يتماسك ولا يترنح.. ثم فى خطى بطيئة اتجه إلى النافذة.. وأزاح الستار.. ثم نزع عنه منامته التى كنا قد ألبسناه إياها لدى نومه العميق..

وسرعان ما أعطى ابن النجوم ظهره لأشعة الشمس المباشرة.. وقد بدا لون خلاياه باهت الاخضرار الآن.. تتخلله بقع ورقاع داكنة الصفار.. ثم شاهدت أنا وعبدالله كيف تجرى معجزة الكلوروفيل أمام أبصارنا المركزة بكل ما لدينا من وعى وانتباه..

فى البداية استكان ابن النجوم تحت الأشعة فى لهفة وتلذذ واضحين.. يكاد لا يقوى على الاحتفاظ باستقامة بدنه رغم ما يبذله من جهد.. إلا أن وجهه كان يفصح عن استمتاع كامل.. ولا أدرى لماذا خيل إلى وأنا أراقبه أن نشوته وهو يتلقى حزم الضوء القوية بلغت أقصى درجات المتعة ثم شيئًا فشيئًا أخذ جسده يكتسب خضارًا متألقًا بينما يزيل فى طريقه البقع والمساحات الباهتة من بشرته.. وما هى إلا دقائق تالية حتى كان خضار جسده قد اكتسب كامل بهائه واستعاد ابن النجوم حيويته ولياقته السابقة..

– لقد سرى المصل فى دمى.. الأخضر.. والتحم مع مكونات خلاياى.. وبذا .. يصبح ارتباطى بشوق ممكنًا!

www.ibtesama.com

حاول عبد الله أن يستوقف الكائن لمزيد من التفاصيل حول ما ذكره عن «الدم الأخضر».. لكنه لم يكن يسمعنا.. وظل منتصبًا عاريًا بنصفه العلوى يتزود بطاقة الشمس.. لكن أفكاره وعواطفه.. بل وحضوره الذهنى كانت فى مكان مختلف.. حيث توجد الفتاة..

حرك ابن النجوم ذراعيه ثنيًا ومدًّا ودلك ساقيه بالتناوب.. ثم قفز عدة قفزات خفيفة والتقط أنفاسًا عميقة.. واستدار أخيرًا إلينا..

– سيارتك معك يا عبد الله؟

– تربض بأسفل..

– إذن فلا وقت نضيعه..

– فى ماذا؟

– لقد استعدت لياقتى بعد وهن.. ففيم الانتظار لإتمام ارتباطى بشوق.. أو ما تسمونه الزواج؟

– هكذا؟! هل لديك فكرة عن الإجراءات؟

– لدى..

قالها.. وأخبرنا بأنه عرف كل شىء من شوق.. حتى وجدتنى أبارك رغبته: العروسان والشاهدان موجودان.. يبقى المأذون وهكذا نلتقطه فى طريقنا..

– أتعرفان مأذونًا؟

www.ibtesama.com

– لا تقلق.. سنسأل..

وخلال نصف ساعة وصلنا.. ابن النجوم وعبد الله وأنا وبرفقتنا الشيخ المعمم.. إلى ذلك الكوخ المشيد وحيدًا فى طرف القرية.. لنجد امرأتين فى انتظارنا.. راعية الغنم وأمها..

قادتنا الأم فى ألفة وحفاوة أولاد البلد إلى حجرة فقيرة الأثاث.. فلما جلسنا تأملتها لأجدها سيدة ممتلئة قصيرة على عكس ابنتها الفارعة الرشيقة.. ثم إن الأم سمراء والابنة بيضاء.. ولولا تشابه وجهيهما فى ملامح مشتركة منها ملاحة ولّت لقلت إن هذه المرأة ليست أمًّا لشوق..

أما الفتاة فبدت وقد تغيرت عما رأيتها عليه يوم حادثة السيارة.. فهى الليلة أكثر هدوءًا وتعقلاً.. وخيل إلىَّ أنها أكثر رزانة كذلك.. فى حين رأيت رقتها المفرطة تتعارض مع الانطباع الذى تركته ثورتها لدى أول لقائنا.. أما ثوبها فكان رغم رخصه وربما قدمه محتشمًا ينسجم مع ليونة قوامها وما تتمتع به من عافية ظاهرة..

لم أكد أسترسل مع تأملاتى حتى وجدتنى أفيق على بدء إجراءات عقد الزواج.. والتى سرعان ما تمت فى بساطة ودون تعقيدات.. خاصة وأن شهادة الشهود كانت ما تزال تكفى لإثبات هوية الزوجين بدلاً من بطاقات رسمية أو ما شابه.. فى تلك المنطقة النائية كقرية النجع رغمًا عن وجود مؤسسات سياحية فيها..

غادرنا المأذون بعد أن أدى مهمته وانتقد أتعابه.. تشيعه تهللات الفرح والحبور تنطق بها وجوه الكل.. فى حين مال

www.ibtesama.com

ابن النجوم يفضى بمشاعره «إنه لا يجد بأسًا فيما تم على يدى الشيخ رغم عدم تعوده عليه.. فهو فى نهاية الأمر يدين بالتوحيد.. فرب الكون والمخلوقات إله واحد أحد.. لا شك فى هذا.. لكنه كان يود بساطة أكثر فى الإجراءات.. فهم يكتفون على كوكبه آميتون بشهادة شاهد مهم.. وهو عقل إلكترونى».. على أن اهتماماتى انصبت فى اتجاه آخر.. وددت أن أقترب منه وأسبر غوره.. لذلك سألت ابن النجوم: أتسمح يا صديقى بحديث قصير.. مع زوجتك؟

عجل يقول: هى أمامك .. قل لها ما تريد يا دكتور؟

وتأبط ساعد عبدالله يقوده إلى خلف الكوخ..

فبادرته: ليس فى الأمر أسرار..

شملت ابتسامة كل وجهه: من قال ذلك.. الأسرار عندى أنا وعبدالله!

حتى تواريا وتركانى مع العروس وحدنا.. فاقتربت منى هذه فى تردد لتجلس على حافة أريكة متهالكة.. وأجلس بدورى على مقعد عريض لا يقل تهالكًا عن الأريكة.. لكن قبل أن أفتح فمى انطلقت شوق تتكلم فى كثير من الحياء وقليل من الحدة:

- إن كنت يا دكتور تريد أن تعرف صحة شعورى.. تجاه خميس..

قاطعتها برفق: من خميس؟

- زوجى.

www.ibtesama.com

– آه .. هو زوجك.. أجل..

وتنبهت أنه بالفعل الاسم الذى نطقه الكائن أمام المأذون مسمِّيًا به نفسه.. وأكدناه أنا وعبدالله..

عادت الفتاة تفرج عن مزيد من كلماتها الصريحة..

– فى البداية كنت أخافه.. وأرهبه.. لا أدرى فقد كان جادًا قليل الكلام.. دائم العبوس.. ثم اكتشفت أن قلبه أبيض.. ويحنو علىَّ بطريقة مدهشة.. فأحببته..

– وأمك..

– ما لها؟

– أرضِيت به؟

أطرقت إلى أسفل.. تشاغلت بالعبث فى حبات عقد غليظة تتدلى ما بين نهديها.. فتحددهما مبرزة جمالهما.. وجاءنى صوتها فى النهاية خافتًا لكنه واضح النبرات..

– نحن بلا سند يا دكتور فلا تملك أمى موافقة أو رفضًا .. قد تفعل ذلك.. فيما يتعلق.. بأمور المسكن.. أو الغنم.. أما زواجى فلا.. لا سيما والمتقدم رجل له اعتباره..

– بالطبع هو الأحسن؟

– هو الوحيد.. فلم يطلبنى أحد قبله.. ومن يفكر فى فتاة فقيرة.. ليس من يؤازرها غير أمها!!

تأثرت: تقولين لا أقارب لك غير أمك.. ولا فى مكان بعيد؟

www.ibtesama.com

أشاحت بوجهها: الوحيد الذى عرفته.. هو جدى.. أبو أمى.. وتوفى هذا منذ عامين بينما كان يعمل فى تونس..

– وخميس.. ماذا عنه؟ أعنى ليتك تحدثيننى باستفاضة عن علاقتكما..

رمقتنى بنظرة فاحصة.. بدا عليها استعداد للتنمر دفاعًا عن الكائن..

– ما له؟! لقد أشعل عواطفى بعد طول ضياع.. بعد يأس وموت.. وقد اقتنعت به وفهمته.. لقد كان أكثر مما تنشده امرأة مثلى..

تساءلت فى خبث: لكنه يعمل ويعيش فى مكان.. ناء.. جدًّا..

– أعرف.. لقد أخبرنى عن موطنه.. سيأخذنى إليه.. وأنا مستعدة لاتباعه إلى آخر الدنيا..

وهمست لنفسى «لكنك لا تعيِّن كم تبعد آخر الدنيا هذه»..

ثم أسمعتها صوتى: هل تتركين أمك وحدها؟

قالت واثقة: هو عام واحد.. ثم نعود ونأخذها لتعيش معنا..!

– أهكذا اتفقت.. أنت وخميس؟

– هو .. لديه أعمال بالنجع تستغرق أيامًا.. نسافر بعدها إلى بلده.. على أن تكون لنا عودة بعد عام لنأخذ أمى..

ألقيت سؤالاً عابرًا: ولم لا تصطحبان الحاجة أمك منذ البداية؟

– ألم يخبرك بأن طائرته صغيرة.. حمولتها محددة لأفراد ستة فقط..

www.ibtesama.com

حاولت أدارى دهشتى..

– هو قال ذلك؟

– وأرانى إياها.. آه تذكرت وقال أيضًا إنه سيترك معك رفيقه المصنَّع لأننى سأحل محله فى الطائرة.. فوزنى يقارب وزنه..

– إن ما يختص بالآلى.. أعرفه..

بينما رنت إلىَّ وقالت متحيرة: أتعرف يا دكتور.. لطالما رأيت طائرات تحلق فى الجو.. أما هذه الطائرة التى رأيتها عن قرب.. فكم تختلف عن رؤيتها على البعد.. أليس كذلك؟

صمت.. لم أجد ما أجيب به على سؤالها.. «هذه الإنسانة الشفافة.. البسيطة.. ولدرجة السذاجة.. وقد تخطت من عمرها الثلاثين أو تزيد.. ولا يمكنها أن تميز بين الطائرة ومركبة كونية!!! ترى هل تنجح أجهزة الكوكب القصى فى تزويد عقلها وتنمية قدراتها بحيث تتحول من مخلوقة راعية غنم إلى إنسانة.. واعية.. متفوقة؟ .. أيتحقق ذلك كما يدعى ابن النجوم؟»..

وركزت عينى من جديد فى عينى الفتاة.. وسألتها..

– والآن خبرينى هل حدثك خميس يا ابنتى.. عن نفسه؟ عن طفولته مثلاً.. عن حياته عمومًا.. وأيضًا أهله وناسه.. ومن نشأ بينهم!!

قالت: منذ عرفته وهو لا يتوانى عن الكلام والشرح.. ومنه الذى ذكرت.. حتى إننى حفظت اسم بلده البعيد.. آميتون.. وأشياء كثيرة ذكرها..

www.ibtesama.com

وتحورت نغمات صوتها إلى نوع من الترتيل أو التجويد يقارب الصلاة..

– صدقنى يا سيدى.. أستطيع القول من خلال عشرتى البسيطة به إنه صادق وشريف.. وشديد الإخلاص.. لا ينطلق إلا من عمق قلبه الأبيض.. والحساس مثل قلب عصفور، عندئذ انكمشت على نفسى.. ولذت بالصمت فقد هربت منى بقية الكلمات..

هل هو خجل من أسئلتى هذه الكبيرة المتشككة..

أجل.. قد أشك فى مخلوق.. أو أنعته بصفة مرذولة.. وأتهمه بأقسى اتهام.. أو حتى أرفض ما أراه منه رأى العين طالما لم أسمع به وأقتنع تمامًا.. لكن حين ينطلق ابن النجوم فهو لا يقول إلا الصدق.. وها هى كلمات الراعية تدعم هذه الحقيقة..

فإضافة إلى اقتناعى واقتناع عبدالله.. ألمس أيضًا اقتناع الراعية وأمها.. وهكذا مآل كل من ينصت لنبراته.. النابعة مصفاة من قلبه..

وفى آخر الليل حين عدت وعبدالله إلى الفندق كنت على يقين من شىء خطير لاحظته بعين الخيال.

حين أوقف عبدالله سيارته أمام الفندق قلت لنفسى وأنا أغادرها.. «إن طاقة القدر قد فتحت لهذه المخلوقة البسيطة.. فخلال عام أو أكثر. لن تكون قد صعدت فقط من قاع الأرض إلى قمة السماء.. بل إلى ذرا اليقظة الجديرة بوجود الإنسان فى هذا الكون»..

www.ibtesama.com

وغزتنى أمنية لا تقاوم.. أن أسبق الزمن حتى أرى التحول الذى سيلحق بشوق.. ونسيت نفسى وأنا أحلم بهذا وأمامى عبدالله صاعدًا إلى حجرته بالفندق.. إذ كنت أخطو وراءه كالمنوم..

بينما أرى بمخيلتى شوق فى ذات اللحظة.. تصلب عودها وتشمخ بأنفها.. وقد انطلقت توزع كلماتها وآراءها ووجهات نظرها..

بينما أتجمد على البعد.. سعيدًا مبهورًا.. بما لم ير أو يسمع من قبل فوق كوكب الأرض..

* * *

منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي

www.ibtesama.com

١٤

مرت ثلاثة أيام ولم أسجل كلمة فى أوراقى.. فقد أمضيتها كلها فى فراشى بين النوم واليقظة.. محاولاً إقناع نفسى بأن لا متعة تفوق متعة الكسل، وأن القراءة وتناول الوجبات وحدى فى حجرتى هى بمثابة الاستجمام الحقيقى..

إلا أننى فى أعماقى كنت أوقن بأنى إنما أحاول تجنب ما يسىء إلى تأملاتى.. وإن كنت فى الحقيقة لست فى حاجة إلى استجمام أو غيره فأنا لا أعانى مرضًا أو أزمة من أى نوع.. وإنما هو هروب من واقع فرض على وفراغ أخشى أن يحتوينى .. بعد أن رحل عبدالله الذى انتهت إجازته أمس الأول.. ثم انشغال ابن النجوم بزواجه إلى جانب انهماكه فى إعداد مركبته لرحلة العودة إلى كوكبه.. مما جعله يحتجب عنى ولا يتصل إلا لمامًا..

حتى رن جرس الهاتف عصر هذا اليوم.. وجاءنى صوت ابن النجوم وكأنه رد عملى على تفكيرى فيه.. وفى كلمات مقتضبة قلقة طلب منى أن أوافيه من فورى إلى مستشفى أباظة للقائه.. وهو مبنى من طابقين ولا يبعد كثيرًا عن الفندق.. والوحيد فى القرية الذى يؤدى خدمات طبية وتجرى فيه جراحات أولية قليلة..

ولما كان ابن النجوم لم يفصح لى عن الدافع لاستدعائى فقد شغلنى الأمر طوال الطريق الذى قطعته سيرًا على قدمى.. حتى دلفت إلى المبنى المجدد طلاؤه بألوان بيضاء وزرقاء.. وكنت

www.ibtesama.com

أتصور أن شيئًا ألمَّ بـ(شوق) أو بالكائن.. لكن حين وجدته فى استقبالى أيقنت أن الأمر يتصل بفتاته وأنها المقصودة..

بادرته: لعل الموضوع هيِّنٌ..؟

قرأ الذعر فى عينى: شوق بخير.. إنما هى أمها.. الحاجة أبية.. التى سقطت من أعلى سطح بيتهما.. فانكسر حوضها..

انزعجت لمعرفتى بخطورة الإصابة: إصابة كهذه تعتبر صعبة فى سنها المتقدم؟

طأطأ رأسه وراح يهزها متضايقًا وكأنه حوصر..

– تصور.. إن كسرًا مثل هذا وفى أى سن.. يعالج لدينا بسهولة عن طريق نوع من أشعة الليزر .. التى تُقوِّم وتلحم وتطهر على بعد.. حتى إن المصاب يغادر مستشفاه فى ذات يوم..

شاركته ضيقه: فى أرقى مستشفيات القاهرة لا يقل علاج كسر الحوض عن ثلاثة أسابيع.. فما بالك هنا فى نجع!

عمومًا أوصيت طبيبًا توسمت فيه الشهامة..

– أما أنا فلا أعرف أحدًا.. معذرة..

ربت على كتفى: لا تشغل بالك.. لقد استدعيتك لتصحبنى فى وقفتى هنا.. فما دمت على أرضكم فالأولى أن نستغل الوقت فى الحديث معًا.. إلا لو كنت أعطلك عن عمل تؤديه..

أجبته فى صراحة: أنت تعرف أن لا شىء أهم لدى منك.. فمنذ التقينا وأنا واهب وقتى لمصاحبتك.. والإنصات لكل ما يبدر منك..

www.ibtesama.com

كنا قد عبرنا ممشى طويلاً واقتربنا من السلم الصاعد إلى الطابق الثانى.. عندما توقف.. ومد ذراعيه بطولهما وهو يواجهنى ويقبض علىَّ من كتفى.. وبكمٍّ دافق من الحنان راح يتطلع إلى وجهى..

– أتعلم يا دكتور ناجى.. لقد أحببتك وتعلقت بك بنفس القدر الذى ربطنى بشوق.. مع فارق أننى أوقن بأنك الوحيد القادر على فهمى..

مددت كف يمناى أضغط بها على كتفه منفعلاً.. ثم علقتها على ساعده..

– وأنا طالما ترقبت مقدمك.. وبحثت عنك بمنظارى الفلكى.. وبعينى المجردتين.. وحتى.. بدقات قلبى..

أطلق آهة وتركنى.. استدار يرتقى السلم فى قفزات واسعة وكأنه يهرب من شىء حتى سبقنى بعدة درجات.. ثم توقف ينتظر لحاقى به وهو يبعد وجهه عنى متظاهرًا بالبحث عن أرقام الحجرات..

– إنها ترقد فى الحجرة ثمانية وعشرين.. وزوجتى معها..

طرقت الباب الموارب ودخلت.. وجدت ساق المرأة بفخذها وجزءًا من خصرها قد أحيطا بالجبس.. وقد علقت الساق المجبسة إلى أعلى! حييت السيدة وابنتها وشجعتهما بكلمات مجاملة واعتذرت لعدم حضور عبدالله لسفره.. ثم عجلت بمغادرة المكان.. لأجلس إلى جوار ابن النجوم بالصالة الخارجية الشاغرة إلا منا.. ورجل وامرأة وقفا على البعد..

www.ibtesama.com

عاد ابن النجوم يتطلع إلىَّ .. هل يملى بصره من وجهى.. بدت عيناه وكأنهما تحبسان دمعًا لا تقدران على إطلاقه.. لكنه للمرة الثانية أشاح برأسه بعيدًا..

أخيرًا جروٌ على الهمس..

– بعد غد سيكون انطلاقنا.. لاعتبارات تتعلق بملاحة الفضاء وهذا.. قرار.. نهائى..

وجدت فمى ينفرج عن جملة لا معنى لها.. «القرار الصعب».. قلتها بعصبية وقد سقطت فى ذات المشاعر والأحاسيس .. واختنقت بها مثله..

قال: هو قرار صعب حقًّا.. لكن لابد من اتخاذه.. لا مفر من عودتى إلى هناك.. حيث يستقر قومى وتمتد حياتى.. مهما طالت رحلتى..

دمدمت من قلبى: سأراك ثانية؟

أسرع يؤكد: حتمًا سنأتى بعد عام.. هذا عهد واجب.. بل إننى أجىء إلى أرضكم لمهام قومية ترتبط بشعب آميتون..

قلت فى أسى وغيظ: لدينا مثل يقول.. عهود الليل يمحوها النهار!

– إلا فى حالتى.. فعودتى إلى كوكبكم حتمية.. حتى أسترد من منحتها ثقتى وعواطفى.. وصدقنى فلا أدرى كيف سأحتمل الابتعاد عنها.. عامًا بأكمله..

www.ibtesama.com

أدهشنى قوله فلم أتوقعه بالمرة: أتعنى «شوق»؟ لكنك أعددت العدة لأخذها معك!

– وكيف نترك أمها على هذه الحال وحدها.. حتى بعد أن تشفى .. فلا غنى عمن يرعى هذه السيدة المسنة لبضعة شهور تالية.. ثم.. هناك حدث قد فرض وجوده.. ولم أضعه فى حسبانى إطلاقًا..

وغرق الكائن فى حيرته وراح يغمغم.. إطلاقًا.. إطلاقًا.

وامتدت الحيرة إلىَّ: تقول حدث!! عن أى شىء تتكلم؟

– شوق حملت منى يا دكتور..

لم أصدق: كيف لك أن تجزم؟

– أنا متأكد..

قلت: الحامل لا تعرف بحملها إلا بعد شهرها الثالث.. حتى الطبيب يخطئ قبل شهر ونصف.. بينما التحاليل يستحيل أن..

قاطعنى وهو يخرج علبة بلياته المعدنية ويفتح غطاءها ليرينى شكلها الكروى المشابه لكبسولات الدواء..

– الأمر لا يحتاج طبيبًا ولا تحاليل أو غيره.. فهو جد يسير باستخدام سماعات التردد الموجى لكهربائية الخلايا.. فهذه البليات أو السماعات بمقدورها أن تكتشف أقل تغيير يعترى الخلايا الحيوانية سواء أكان طبيعيًا أم مرضيًا.. وأما التدريب على استخدامها فهيّنٌ!

www.ibtesama.com

تناولت بلية حمراء بين أصابعى.. أدنيها من عينى.. فلمحت خرومًا بها كما فى قوام الإسفنج.. أما وزنها فكان ثقيلاً بالنسبة لحجمها الذى يتيح وضعها فى فتحة الأذن.. وكما استخدمها ابن النجوم عند فحصه لجسد شوق يوم حادثة السيارة..

أعدت البلية الحمراء وأنا أستفسر منه فى اهتمام استحوذ علىَّ:

– فلماذا هى ملونة وليست جميعًا على لون واحد؟

– جميل أن تسأل.. فمع تعودى ظننت أنك تعرف.. فالعلبة تضم مائة وست بليات أوسماعات.. كل زوج منها موحد اللون كما ترى..

ألقيت نظرة مجددة على العلبة المفتوحة: هى كما تقول..

– ونحن بالدراسة والمران نعرف استخدامات كل زوج على حدة..

– أرجوك اشرح لى..

– غالبية الألوان للكشف على الغير.. وأما البرتقالية منها بدرجاتها فيستخدمها الفرد فى كشف أمراضه هو.. هذا هو التقسيم الأول.. فى حين أن هناك مجموعة ثانية من التقسيمات اللونية تتبع نوعيات الخلايا فى ذات البدن.. فهذه للكلى وتلك للرئة والثالثة تختص بالبشرة فى منطقة كذا.. إلخ.. ومجموعة تقسيمات ثالثة تتبع السن.. فالطفل غير البالغ بخلاف الرجل المكتمل.. والثلاثة ألوانها تختلف عن ألوان الشيخ بعد التسعين من عمره..

www.ibtesama.com

– وعمل البليات السماعات كيف يكون؟

تناول بليتين ناصعتى البياض وأدخل كل واحدة منهما فى فتحة إحدى أذنيه..

– نضعهما بهذه الكيفية.. وننصت جيدًا.. ومن خلال اختلاف النغمات يمكن معرفة الكثير.. كنوع الخلايا.. مكانها.. مساحة تكوينها.. والأهم حركة عملها وهل طرأ على إيقاعه تغيير ما.. والتغيير أهو حميد أو مرضىٌّ.. ثم ما مدى خطورة العلة أو الإصابة.. إلى آخر ما يتيحه علم استخدام سماعات التردد الموجى أو الحبات الناطقة كما نسميها..... ياه؟!!

ورأيت وجهه يتغير بغتة.. وقد تملكه انزعاج شديد فانتابنى قلق غامض..

– ما الذى حدث؟

– أنت..

ازداد قلقى: أكنت تفحصنى؟

– ليس عن قصد.. فرغم سنك أراك معافى.. لكن..

– لكن ماذا؟؟

ابتلع ابن النجوم ريقه: يحسن أن يراك طبيب فى المسالك البولية..

بادرته: لينزل حصوة عندى..هه!

www.ibtesama.com

– إنها حصوة أكسيلات فى حوض كليتك اليمنى.. فهى التى تطن فى أذنى طنينًا متقطعًا..

أومأت أوافق على استنتاجاته: بلياتك صادقة.. لدى واحدة فى الكلية اليمنى.. وحجمها مناسب للإذابة..

وجرب ابن النجوم ألوانًا أخرى من البلى فى مزيد من الفحص لبقية أعضائى.. إلا أنه ولأكثر من خمس عشرة مرة لم يردد غير كلمة «سليم».. عندئذ أردت أن أغير الحديث..

– هلا أغلقت علبتك.. وأخبرتنى بما تنوى أن تفعل حتى يحين إقلاعك إلى الأعالى عائدًا إلى كوكبك؟

قال بعد أن أغلق العلبة: عدتى جاهزة للسفر.. وكان بمقدورى التحرك منذ أيام..

لولا زواجى..

– إذن أخرتك شوق.. وحادث السيدة أمها؟

– وأيضًا أخرنى اتصالى بقادتى فى آميتون.. ثم الانتظار .. حتى حصلت على إذنهم باصطحاب الزوجة..

– لكنك ستعود وحدك.. كما ذكرت لى؟

أطلق آهة حبيسة: كما ترى القدر كان أكبر منى!

عادت الكلمات تتوه وسط عواطفنا الجياشة.. وتفاقم إحساسى بالغصة فى حلقى.. وبينما علق الكائن بصره على وجهى وقد غرق فى لجة أفكاره.. وجدت مخيلتى تشتعل بحشد من الرؤى

www.ibtesama.com

تتركز حول موضوع بعينه.. وانفلتت شحنة أفكارى لتقودنى ثانية تجاه أمنية راحت تكبر وتكبر حتى سيطرت علىَّ.. فهل يقدر لى أن أهبط يومًا على سطح آميتون؟

كعادته التقط ما يدور برأسى: ولم لا.. أنا سبقتك فى تصور ذلك.. فالرحلة ليست شاقة ولن يشترط إعدادك لكل التدريبات ما دمت لن تقوم بالقيادة.. أو أية مهام ملاحية..

وتوقف عن تكملة كلماته فقد تذكر أمرًا.. إذ نهض يدخل حجرة أم زوجته وعاد وقد أمسك كيسًا ورقيًّا.. سرعان ما دفع به بين يدى..

– إليك هذا الشريط التليفزيونى المجسم.. كان مع شوق.. كدت أنساه.. سترى فى تسجيله مشاهد وأحداثًا على آميتون.. وهو نوع مركز من تسجيلاتنا لم تصنعوه بعد.. فرغم صغره فإن مدته ثلاثون ساعة..

أمسكت الشريط.. لا يختلف عن أى شريط فيديو لدينا.. فقط كان على العلبة نقش بارز يمثل كتابة مسمارية!!

تابع: وسيصلك غدًا صندوقان.. أولهما يضم الآلى الذى وعدتك به.. ومعه قطع غيار له..

تذكرت: والصندوق الثانى يضم الأدوات؟

– أجل .. ما أمكننى الاستغناء عنه من مركبتنا الكونية.. كعلبة للحبات الناطقة وساعة زوالية ذاتية الحركة ورداء لملاح كونى آميتونى.. وأيضًا عقل إلكترونى فى حجم علبة ثقاب من

www.ibtesama.com

الجيل المائتين والأربعين لدينا.. وغير ذلك من العدد أهمها نظارة الترجمة!

– نظارة.. للترجمة.. كيف؟

– ستعجبك.. هي جهاز بسيط متصل بنوع من العدسات يرى معك ما تقرأ حرفًا بحرف.. بعدد من اللغات.. فيقوم عقل إلكتروني خاص بترجمتها إلى اللغة التي يراد تحديدها عليه..

سألت في لهفة: هل من بين هذه اللغات العربية؟

– اطمئن يا دكتور.. هي مبرمجة على ستمائة لغة.. منها معظم لغات كوكبكم.. ولغات آميتون الأربع.. كما تضم لغات مميزة من كواكب أخرى..

– كواكب أخرى.. آه.. لم نتحدث إلا عن آميتون؟

– في الكون غيرنا كوكبان آخران عليهما مخلوقات ذكية.. لكن المخلوقات عليهما أقل تحضرًا منكم.. عمومًا سأكلمك عنها في فرصة أخرى..

تمتمت: أنت دائمًا تثير فضولي لأقصى حد منذ عرفتك.. وصمت برهة لأضيف: جادًا سعيدًا..

– أجل .. أنت تثير فضولي لأقصاه حتى في أقل ما تخبرني به من تافه الأمور..

* * *

www.ibtesama.com

١٥

أخيرًا حانت لحظة الوداع...

فخطت الأجساد الثلاثة فى تثاقل إلى التلة الرملية.. واعتلتها.. ثم استقام اثنان منهم فى مواجهة الثالث الذى لم يكن سوى ابن النجوم.. وعندئذ تجمد الثلاثة وقد شملهم صمت موحش تأثر بالغ.. تحجرت له الدموع فى مآقيها..

فى ذات الوقت الذى أطل فيه قرص الشمس برتقاليًّا كبيرًا فى طريقه للصعود.. من وراء الأفق الشرقى الملبد بسحابات رفيعة.. مسحوبة.. متداخلة.. فيما تمتد الصحراء وتنفرش تحت أقدامهم ومن حولهم.. ما تزال مليئة بالظلال.. كئيبة إلى ما لا نهاية.. وعلى الرغم منى رحت أتفحص ابن النجوم.. وأراقب ما يعمه من انفعالات..

لقد زحف الخضار مزرقًّا.. بنيًّا.. كابيًا.. إلى عنقه ووجهه وحتى ذراعيه بيديه.. وحين ألقت شوق بنفسها على صدره وغرقت فى نشيج عال أخذ يرتجف بدوره من قمة رأسه إلى ساقيه..

ولم أره يقبلها.. لم يضع شفتيه على شفتيها ولا حتى لمس وجهها بالمرة.. لكنى أقسم أننى فيما يشبه الحلم رأيتهما ينضغطان.. يتداخلان.. يندمجان.. حتى صار بدناهما معًا فى حجم فرد واحد لا اثنين..

www.ibtesama.com

ثم خف نشيجها.. وهدأت أنفاسها.. بينما أحاول عبثًا وهما تحت بصرى المباشر أن أتبين ملامح أى منهما على حدة.. أبدًا.. لقد صارا معًا أشبه بتكوين ضبابى تموهت ملامحه وأبعاده لكنه قابع فى مكانه..

فقط ساد التكوين هدوء واطمئنان.. ونور.. تزايد.. اتسع.. عم.. فتطايرت أشعته إلى ما حولهما.. وسرعان ما انسابت دفقة قوية غمرتنى فأشبعتنى راحة وسكينة حتى أعماقى..

بمشقة ترك ابن النجوم زوجته والتفت إلىَّ..

مد يده.. فى اتجاهى.. ومددت يدىَّ كلتيهما .. لكننا معًا فتحنا أذرعنا وغاب كلٌّ منا فى حضن الآخر..

– يا صديقى الأرضى..

– يا صديقى من آميتون..

ضغط علىَّ بذراعيه أكثر: بل يا أخى عبر الكون.. أعدك أن آتى.. ونلتقى.. مرة ثانية ومرات.. ومرات..

– وأعدك أن أدقق فى حساباتى.. لأكون دائمًا فى انتظارك..

طوح برأسه إلى الوراء دون أن يترك جسدى..

– أحقًّا ستظل تذكرنى؟

رد قلبى: وسأضعك فى صدور الناس كافة.. سأعرِّف جميع البشر.. على سطح الأرض.. بك.. وبقصة لقائنا..

www.ibtesama.com

– أما أنا فستكون مهمتى أن أدعو الآميتونيين أن يغيروا أفكارهم عنكم.. فطالما يوجد هناك من على شاكلتك.. وفهمك.. يوجد رجاء فى انصلاح الأحوال عندكم..

قلت وحلم رائع يداعبنى بينما نتباعد: أو تظن أن هناك أملاً؟ وتباعد جسدينا: أوقن أن إله الكون.. وكما وقف إلى جانبنا سيقف إلى جانبكم.. فقط أنتم مطالبون بتنقية داخلكم.. والحد من أطماعكم..

ثم أسرع يتعلق بشوق ويغرق معها فى عناق أو اندماج ضبابى جديد..

اندماج روحانى أبلغ من أى كلام..

لكن بغتة ترك أحضانها وإن أبقى يديه تقبضان على يديها.. تتشبثان بهما.. بينما راح يذكرها بتوصيته لطفله الكامن فى أحشائها..

والتفت إلىَّ ولم يترك أصابعها الرخصة..

– وأنت يا صديقى .. وصيتى لك شوق وطفلنا القادم.. إننى.. أعتمد.. عليك.. رفعت يمناى ملوحًا.. ركزت عيناى وقلبى.. وكنت جادًّا.. «أعدك»..

ووجه الكائن كلماته إلى شوق: وأنت: اعتبريه صديقًا.. متى احتجت شيئًا فلا تترددى فى طلبه منه..

وثرثر ابن النجوم كذلك بكلمات لم يكن مجالها وقفة الوداع التى نقف.. إنما المسكين كانت قدماه ترفضان إطاعته.. تأبيان

www.ibtesama.com

تركنا والتحرك إلى حيث تربض المركبة أو الطبق الغارق فى أشعة الشروق المتدفقة كسيال ينتشر فى إصرار..

وتعالى أزيز مكتوم له إيقاع متغير..

– العد التنازلى .. للإقلاع..

قالها وقد امتقع وجهه.. فاهتزت شوق فى عنف.. بينما اصفرت شفتاها وهرب سواد عينيها فأسرعت أسندها ظانًا أنها توشك على السقوط..

لكن ابن النجوم عاد فتجلد.. وتظاهر بأنه لم ير ما اعترى «شوق»..

وصلب عوده.. وفرد صدره وقوامه الفارع.. معيدًا شبح ابتسامة يرسمها بطول شفتيه.. حتى خيل إلى أنه قد اكتسى قناعًا من البرود واللامبالاة كذلك.. ثم ضغط جبهته وفكيه.. ورفع ذراعًا يلوح بها لنا للمرة الأخيرة..

وفى عنف استدار يخطو هابطًا رمال التبة من الجهة المقابلة فى طريقه إلى مركبته.. وبقيت والفتاة وحدنا أعلى التبة.. يحط علينا كم مهول من الضياع..

وغاب ابن النجوم بداخل المركبة.. اختفى برهة ليظهر برأسه فى نافذة أمامية بها.. ثم حدث ما توقعت.. فقد تحركت المركبة الكونية ببطء فى البداية.. ثم أخذت ترتفع عموديًا وهى تكتسب سرعة أكثر..

www.ibtesama.com

وتم ذلك كله بلا صوت على الإطلاق..

لوح ابن النجوم من ارتفاع يقارب مائة متر.. وعلى غير انتظار انقذفت المركبة لولبيًّا إلى اليسار.. فإلى اليمين.. فإلى اليسار ثانية.. لتدور دورة كاملة صعدت خلالها فى سرعة مخيفة إلى عمق سحابة شاهقة.. فاخترقتها من طرف إلى الطرف المقابل..

وخلال ثوان تضاءلت المركبة.. وتضاءلت.. إلى أن تلاشت فى عمق السماء الآخذة فى التوهج بنور الصباح..

وسحبت شوق من يدها..

رحت أسندها وأقودها مجهدًا مثلها.. حتى أوصلتها إلى السيارة التى كنت أستأجرها.. وسرعان ما قدتها أبتعد تاركًا الصحراء وراء ظهرينا..

* * *

بعد رحيل ابن النجوم أصابتنى حالة من الزهق والإحساس بالفراغ.. مع عدم القدرة على الاستمرار فى أداء أى عمل..

فإذا قصدت حمامات البخار والدفن فى الرمال الساخنة فإننى سرعان ما كنت أترك المكان قبل أن أنهى مدة العلاج كما يجب.. فإذا قصدت جلسة هادئة أضيق بها وأطلب الصاخبة.. وعندما أجلس فى المكان الصاخب أعود وأقول ليس أهدأ من حديقة الفندق.. لكن هذه تخنقنى فأعجل هاربًا منها بالصعود إلى حجرتى.. لأنشغل بالكتابة إلى حين..

www.ibtesama.com

فحتى انفرادى بقلمى وأوراقى تحول إلى أداء ممل.. لا أطلبه فإذا دفعت نفسى دفعًا إليه وجدتنى أبقى ممسكًا بالقلم دون أن أخط حرفًا..

أما الفتاة شوق فحالها لم تكن أفضل من حالى.. فقد طواها نوع من التوهان صحبها فى كل تصرفاتها ودفعها إلى العزلة والصمت المطبق حتى معى..

عدت إلى منزلى بالقاهرة حيث أقطن أعلى الجبل فى مدينة المقطم.. وحاولت أن أشغل نفسى ببعض القراءات العلمية المؤجلة.. لعلى أنسى دوامة الأحداث التى مرت بى وفاقت كل تصور..

وإن لم أنس رجاء ابن النجوم لى.. ومن ثم فقد كنت أقصد قرية النجع يومى الخميس والجمعة من كل أسبوع لأبقى إلى جوار الفتاة وأمها.. فأعرف أحوالهما عن قرب وأمدهما بما تحتاجانه.. وإن ظلا فى حقيقة الأمر فى غير حاجة إلىَّ على الأقل ماديًا بعد أن ترك لهما ابن النجوم ما يكفيهما ويزيد..

وخلال ترددى الأسبوعى كنت ألاحظ تقدم صحة الحاجة أَبِيَّة أم شوق.. واستردادها بعضًا من عافيتها فى أعقاب تركيب مسمار لا يصدأ فى فخذها.. بينما التأم الكسر الذى أصابها بكيفية مدهشة.. وهكذا أمكنها فى نهاية شهرين أن تغادر المستشفى إلى كوخها وأن تتحرك بعدئذ بواسطة عكازين خشبيين تضعهما تحت إبطيها..

www.ibtesama.com

وبقدر ما كانت الحاجة أَبِيَّة تتحسن بقدر ما كانت شوق تتأخر وتزداد قنوطًا وتقوقعًا على نفسها.. أما محاولاتى للتسرية عنها فغالبًا ما تكون محاولات عقيمة وجهدًا أبذله هباء..

شىء واحد بدأ يثير اهتمامها.. ويشغلها.. فتلتفت إليه.. وتروح تراقبه فى تنبه جديد عليها.. وذلك هو الذى ينمو فى أحشائها..

ويعلن عن وجوده بطريقته الخاصة..

* * *

فذات ليلة بينما كنت أتناول مع شوق وأمها عشاءً بسيطًا فى كوخهما.. إذا بشوق تتصايح فى تعجب امتزج بخجل مفاجئ لما أفلت منها..

فاستغربت الحاجة أبية: ماذا؟

عندئذ أشارت شوق إلى جنبها وهمست فى حياء..

– لقد لكزنى بقوة!

قلت على الفور: لابد أن يكون لاكزًا قويًّا.. أليس هو ابنًا لابن النجوم؟

مالت برأسها فى اتجاهى.. من بين هالة شعرها الفاحم رمقتنى.. وقد رفعت حاجبيها فى دهشة وكأنها تتبين للمرة الأولى حقيقة غابت عنها.. وأنها تحمل بالفعل جزءًا حيًّا من صلب الحبيب الذى رحل منذ شهور..

www.ibtesama.com

ولحظت ما اعترى شوق من تورد.. ولحظت أن اهتمامها بجنينها الذى توالت حركته واشتدت.. اهتمام كبير.. وأنه سينمو أكثر وأكثر فى عينى أمه وقلبها وعقلها..

فهل وجدت آخر الأمر دواء يبطل صمتها ويخرجها من عزلتها .. التى فرضتها على نفسها؟؟

* * *

«السيدة شوق أنجبت صباحًا مولودًا ذكرًا.. تهانينا».

طبيب.

يسرى محمد علام.

وصلتنى البرقية عصرًا فسافرت بالحافلة من فورى.. لأصل قرية النجع ليلاً..

وكان أول ما عرفت أن الولادة جاءت طبيعية.. وأن المولود رغم كونه ابنًا لشهور سبعة إلا أنه بدا مكتملاً.. وصحيحًا بدنيًا بصورة مطمئنة..

وانصب كلام الطبيب يسرى علام على حركة الوليد التى لا تهدأ وأن قوة ذراعيه وساقيه مما لم يره قبلاً ولا على أطفال الشهور التسعة..

وأخذ يردد حين استقبلنى: تصور صوت بكائه يا سيدى.. كان ضخمًا.. على غير العادة.. ولفت كل الأنظار إليه هنا..

www.ibtesama.com

دخلت حجرة شوق فوجدتها ترقد فى الفراش وإلى جوارها وليدها.. فى حين تحتل أمها مقعدًا مواجهًا ويستند عكازها إلى الحائط.. وكان ثلاثتهم على ما يرام..

ولما انصرف الطبيب أشارت شوق إلىَّ أن أقترب فلما فعلت مدت يدها وكشفت عن قفا وليدها وجزء من ظهره.. ليتضح أمام بصرى مخضرًا فى لون برعم النخيل المائل خضاره إلى صفار زاهٍ منتعش..

وفى رابع يوم على الولادة غادرت شوق المستشفى تحمل طفلها.. جاسر خميس الأخضر وكما أصرت أن تسميه..

* * *

اليوم هو السادس عشر من أغسطس عام ألف وتسعمائة وسبعة وتسعين.. اليوم يكتمل عام أرضى بالتمام على انطلاق ابن النجوم فى رحلته الكونية إلى الكوكب آميتون.. إذًا فابتداء من الغد نترقب مجيئه ثانية إلى كوكبنا الأرض..

وسافرت فجرًا فى أول حافلة من القاهرة إلى قرية النجع.. وطوال الطريق رحت أتصور كيف سيكون اللقاء المرتقب لدى عودة الصديق الكائن من الكوكب آميتون.. وإلى أى مدى سيكون حارًا حافلاً بالعواطف.. وأى فرحة ستغمره برؤيته لولده من المرأة الأرضية.. ورحت أفكر فيما سأخبره به من رصدى لكوكبهم آميتون أخيرًا.. وكيف انفردت بأن أعلن أول معلومات متكاملة عن كوكب لم يعرفه البشر قبلاً..

www.ibtesama.com

وما إن وصلت النجع حتى قصدت كوخ الحاجة أبية.. لكن هذه أخبرتنى فى اقتضاب أن شوق قد أخذت طريقها منذ الفجر إلى تلة الرمال القبلية.. عند الطرف الآخر من القرية..

أسرعت من فورى إلى هناك.. لأجد «شوق» واقفة تتطلع إلى السماء.. تحملق فى اتجاه جنوبى غربى..

لكن لدى الظهيرة اضطرت شوق للجلوس على الرمال مثلى.. فلما أقبل الليل لم تتراجع وإنما أصرت على التدثر والمبيت مكانها.. واضطررت معها أن أبقى إلى جوارها ولا أتركها وحدها.. إلا أننى أقنعتها بالعودة للكوخ قبل حلول الليلة الثانية.. على أن نعاود الكرة فى صباح اليوم الثالث..

* * *

– قد طال وقوفك.. بلا نتيجة.. يا شوق يا ابنتى..

– لن أكف..

– أرجوك.. فكرى.. رحمة بنفسك وبنا..

– ليس بمقدورى غير الذى أفعل.. سأكون أول من يلقاه.. متى هبط فوق هذه الأرض؟

– صدقينى .. هو يعرف طريقه إليك جيدًا..

– الأهم أن أعرف أنا طريقى.. إليه..

– قد يتأخر مجيئه.. فلا أحد يدرى سبب غيبته؟

– لابد أنه فى الطريق الآن..

www.ibtesama.com

– لقد قلنا ذلك مرات لكنه تأخر عامًا بعد عام إلى أن اكتمل غيابه أعوامًا ثلاثة ومن يدرى إلى أى حد..

دمدمت: لو صبرت مثلى.. فسيسهل عليك الانتظار..

لكن يعترينى التعب.. يعمنى ويطوينى دون أقل إحساس بنتيجة لبذله.. فأهبط من مقامى فوق تلة الرمال وأسارع بالتوارى تحت الخباء الذى صنعته شوق لتتناول طعامها فى ظله..

وتمر أيام وأعوام.. ولا فرق لدى شوق بين صيف وشتاء..

وكنت أحاول مجاراتها فأتمسك بمزيد من الصبر.. لكن الأمر طال.. واستفحل.. وازدادت وطأته على صحتى..

فأصبحت أتغيب معظم أيام الشتاء الباردة..

إلى أن حدث تطور جديد.. فذات صباح صحو فوجئت بشوق تنتصب على التلة وإلى جوارها يقف كيان آدمى له جذع أقصر وأنحف مما تعودناه .. لكنه أمتن بنيانًا..

ورأيت صاحب هذا الجسد القصير يشمخ بأنفه.. فى اعتداد.. ومهابة..

ويراقب بدوره السماء عند الأفق الجنوبى الغربى..

كان ولد ابن النجوم.. جاسر الأخضر..

تعلمه أمه كيف ينتظر مجىء أبيه..

* * *

www.ibtesama.com

لكن ماذا عما أحتفظ به من أدلة حاسمة؟؟

كل دليل هو نموذج متكامل فى ابتكاره العلمى وتطوره التقنى.. وقادر أن يستحوذ على لب علماء الأرض.. ويشغلهم أعوامًا فى فحصه.. والكشف عن أسراره.. والنقاش حول كيفية التوصل إليه ومدى فعاليته..

مثل الكائن الآلى المفكر..

والأجهزة والأدوات بالغة التعقيد..

وذلك الشريط المرئى وعليه لقطات حية لحضارة وطبيعة غير أرضية.. وغير بشرية.. ثم قصة ابن النجوم ذاته.. التى أسجل أحداثها.. المذهلة.. بعد أن اخترق المجرة من جانب لآخر.. وهبط على كوكبنا..

هذه الأدلة هى أدواتى للثأر ممن أساءوا إلىَّ كذلك..

إلى هذا الحد ذهبت أفكارى وتحفزت رغباتى سابقًا.. فما بالى اليوم أجد كل ارتباطاتى بالذى أعددت تتفكك.. وتخمد جذوتها.. فما يزال الآلى الذى أعطانيه ابن النجوم قابعًا مطويًّا داخل صندوقه بركن مكتبى بمنزلى.. وكذا وضعت إلى جواره صندوق الأدوات المجلوبة من المركبة.. دون أن أفحص أو أمس أيًّا من محتوى الصندوقين..

بينما أحس عزوفًا شديدًا تجاه الكشف عن أسرارهم ضمن حججى القوية والتى يستحيل دحضها لإثبات مدى صدق نظرياتى.. وسابق تصريحاتى .. وبقدر لهفتى السابقة على تقديم

www.ibtesama.com

ابن النجوم عيانًا إلى بشر عالمنا.. بقدر تسويفى وربما انصرافى حتى عن تقديم سطورى الخطية هذه لتقرأ يومًا ما.. فهل هو عزوف الواثق من علمه وقدراته حتى لم يعد يهتم.. بتصديق الآخرين له؟

مع أن أيًّا من قرائى لو أمسك خريطة عادية لجمهورية مصر فإنه قادر على أن يعثر وبسهولة على قرية النجع.. فإذا سأل هناك فى فندق النخيل أو مستشفى أباظة أو لدى مأذون الحى القبلى أو عند غيرهم.. فإنه بالقطع سيتعرف على معالم الأحداث خطوة بخطوة.. أما لو اكتفى بتتبع وصفى فإنه يستطيع الوصول لذات النتيجة.. فما أيسر عليه أن يجد تلة الرمال.. وعندئذ سيرى بوضوح قامة من يعتلى التلة..

فالفتى جاسر الأخضر واقف وحده الآن بعوده الفارع وعضلاته البديعة.. بعد أن أصر على إراحة أمه شوق لاعتلال صحتها وكلل بصرها..

وبينما قل ذهابى إلى النجع فى الأيام القليلة الأواخر لمرضى وكبر سنى.. إلا أننى لم أتوانَ عن رؤية شوق وولدها فى مطلع كل شهر وفى المناسبات الهامة.. خاصة بعد وفاة أمها.. وحين أذهب فلابد أن أمر على تلة الرمال..

لكن الفتى الأخضر الوسيم لم يعد يقف فى مكانه المعهود على قمة التلة كل الوقت.. لقد صحا شىء فى أعماقه غير من طباعه وعاداته..

www.ibtesama.com

فجأة دب فيه نشاط عارم يستحثه ويدفعه فى نواح عدة.. لا أدرى كيف ألم بمساربها وقوى على الجمع بينها.. بمفرده.. وفى سنه الغضة..

فأنشأ مزرعة أغنام على رقعة من الصحراء .. وأقام مغزلاً للأكلمة الصوفية.. ثم والأهم فقد أقبل على التعلم والقراءة فى نهم لم أر مثيلا له فى واحد من أبناء المنطقة..

وكان يلاحق دروسه وقراءاته ويقوم بأعمال غنمه ومصنعه على خير وجه..

ويحرص على أن ينهيها جميعًا فى وقت مبكر عن مغيب شمس كل يوم..

فمتى اتخذ القرص المتوهج طريقه عبر السدس الأخير من صفحة السماء.. فى تحركه للانحدار والمغيب غربًا.. تجد دائمًا وأبدًا جاسرًا الأخضر.. يسارع لاحتلال موقعه على تلة الرمال.. وينتصب عاليًا هناك..

ثم يرفع رأسه ببطء.. وقد جاشت قسماته بشتى التعابير بينما يتدلى شعره خلفًا تداعبه نسمات الهواء.. ويبدأ تحديقه إلى فوق.. إلى ما لا نهاية.. فى اتجاه بعينه لا يحيد عنه.. ولا تعتريه لحظة ملل أو تخاذل حياله..

وقد ارتسمت على جبهة جاسر الأخضر وبعرض فكيه وذقنه صلابة عزم تفوق ما لدى أقوى الرجال.. فى حين يبرز عرقان

www.ibtesama.com

بطول رقبته وعلى جانبيها.. ينبضان باستمرار ليذكراه بأصله وجذوره.. وأنها تمتد إلى بعيد.. وعبر هذا البعد كان دائمًا وأبدًا يحدق باحثًا عن ذاته.. بعينين أحدَّ من عينى ليزر..

متعمقًا إلى مسافات قصية.. بالغة النأى عن قبضته.. بالغة القرب من فؤاده.. فهو المنتمى إلى رحابة كل هذا الكون..

يجذبه الحنين إلى كل ذرة فى جوانبه الفسيحة اللانهائية.. فقط لم يحن بعد الميعاد..

لينطلق .. ويتعمق.. ويتلاشى..

بعد أن أصبحت الأرض وحدها لا تكفيه..

** تمت **

www.ibtesama.com

المؤلفـــات

فى الخيال العلمى:

★ قاهر الزمن	(رواية) روايات الهلال	١٩٧٢
★ رقم ٤ يأمركم	(قصص) كتاب اليوم	١٩٧٤
★ سكان العالم الثانى	(رواية) دار الأمانة	١٩٧٧
★ الماسات الزيتونية	(قصص) اقرأ - دار المعارف	١٩٧٩
★ الذى تحدى الإعصار	(رواية وقصص) هيئة كتاب	١٩٨١
★ أنا وكائنات الفضاء	(قصص) كتاب اليوم	١٩٨٢
★ الشىء	(رواية) مختارات فصول - هيئة الكتاب	١٩٨٩
★ أحزان السيد مكرر	(مسرحية) هيئة الكتاب	١٩٩٠
★ بالإجماع	(قصص) اتحاد الكتاب العرب - بدمشق	١٩٩١
★ مؤلفات: نهاد شريف جـ١	(رواية وقصص) هيئة الكتاب	١٩٩٤
★ نداء لول السرى	(قصص) اتحاد الكتاب العرب - بدمشق	١٩٩٥
★ ترجمة (سينما الخيال العلمى)	- لدنيس جيفورد - دار الأمانة	١٩٨٥
★ تحت الطبع	- ابن النجوم (ثلاثية روائية)	
	- العطاء العربى فى أدب الخيال العلمى (دراسة)	
	- تحت المجهر (رواية)	
	- ملكة ملوك الدنيا (رواية)	
	- كتاب الخياب الخيال العلمى ورؤاهم (مقالات)	
	-اقفوا هذه النهاية (رواية)	
	- غول الميناء (رواية)	

فى غير الخيال العلمى:

★ توماس أديسون معجزة العلم (دراسة) علماء عاشوا بالأمل - دار المعارف ١٩٩٢

★ همس قلمى (مقالات)

★ شارك فى مؤلفات «يوسف السباعى فى ذكراه الأولى (مقالات) ألوان من الأدب المصرى الحديث (قصص) - عديد من المقدمات لكتب زملاء القلم».

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

منتدى مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com
مايا شوقي

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com
PhotoMontager